الفصل الرابع

إساءات الغرب للإسلام والمسلمين

مخطط بياني يوضّح التصاعد المستمر في العدائية الغربية للعرب. ونلاحظ تكرر وتشابه هذا التصاعد طوال العقود والقرون.

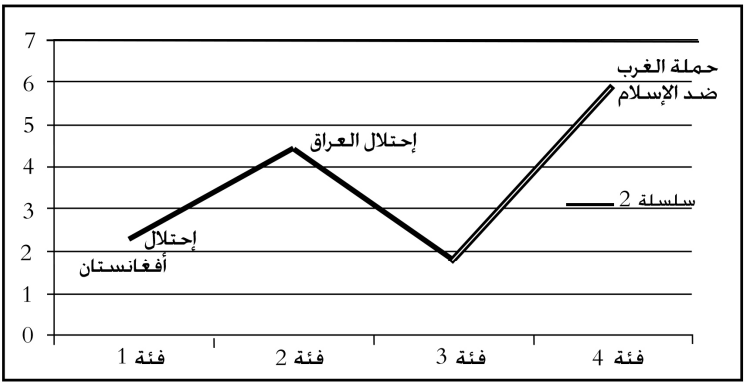

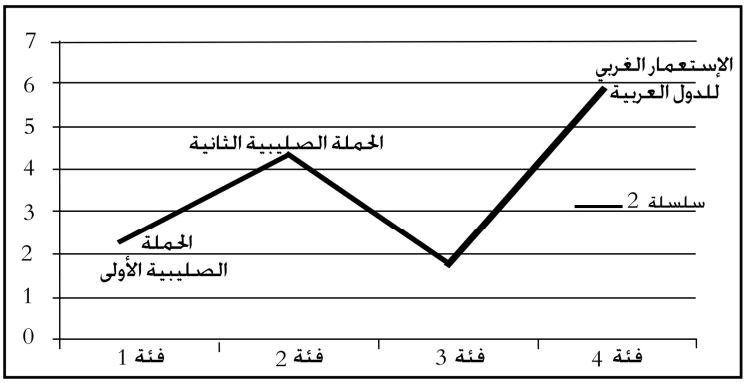

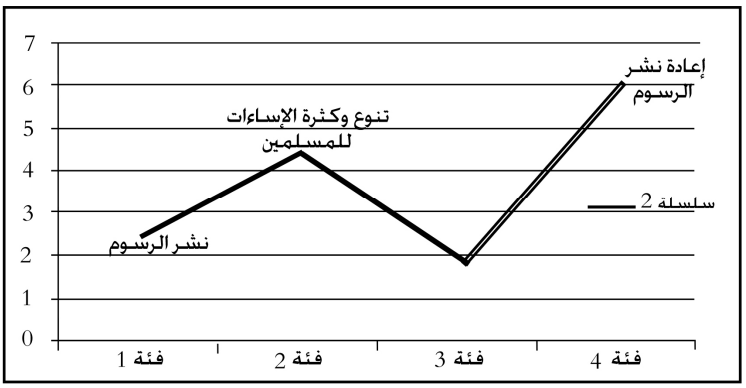

نقارن بين المخططين البيانيين فنكتشف التشابه التام في العدائية الغربية للإسلام والمسلمين. تشابه في تصاعد التحدي وتصاعد الهجوم .

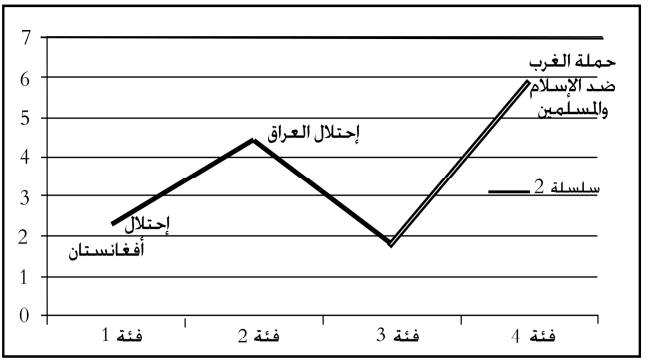

المقارنة بين هذين المخططين توضح التشابه التام بين التصعيدين العدائيين: التصعيد العدائي الأوروبي ضد المسلمين. والتصعيد العدائي الصهيوني ضد العرب المسلمين في فلسطين. ما يدل على أن المخطط الغربي واحد .

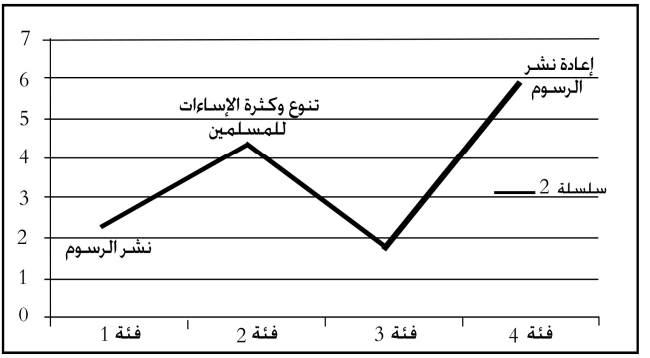

بداية التحدي
وتكرار الإساءة

بدأت الأزمة في أغسطس عندما رفض متحف سويدى عرض رسومات مسيئة للإسلام لرسام يدعى"لارس فيلكس"معللاً ذلك بالحفاظ على مشاعر المسلمين، فاستعان هذا الرسام بالصحافة لنشر رسومه، واستجابت له صحيفتان، وقامتا بنشر خبر منعه من عرض رسومه، تحت عناوين تستفزّ المسلمين، بعدها قامت إحدى الصحيفتين بوضع رابط لموقع الرسام ليشاهد الناس حقارته، بأسلوب خبيث؛ لكى تنجو هى من عواقب النشر الصريح.

وفي سيناريو مكرر تنادى العنصريون من حزب الشعب السويدي بالبرلمان ضد المسلمين وطالبوا بنشر الرسومات تحت نفس المزاعم المجوجة عن الحريات. أثارت الإساءات موجة احتجاجات محلية من جانب الأقلية المسلمة، فخرج المسلمون بالسويد في مسيرة احتجاجية لمقر الصحيفة بمدينة أوريبرو وطالبوها بتقديم اعتذار رسمي مرددين هتافات مناهضة للجريدة.

تصاعدت الأزمة لتنتقل إلى البلدان الإسلامية، ففي أفغانستان عبر العلماء عن استنكارهم ،ونددت إيران وباكستان ومنظمة المؤتمر الإسلامي بالرسوم واستدعت باكستان السفير السويدي واحتجت بشدة وفي مصر طالب أعضاء بالبرلمان بموقف قوي ضد السويد، وأعربت البحرين عن أسفها، كما عبر عدد من علماء السعودية عن استنكارهم لهذه الرسوم، وفي القدس دعت حركة المسار الفلسطينية لاستصدار قانون دولي يجرم الإساءة للإسلام، واستنكرت الحكومة الأردنية الإساءة واعتبرتها غير مقبولة.

ويكاد المتابع للأزمة يشعر وكأنها رواية مكررة قرأت تفاصيلها أثناء أزمة الرسوم الدنماركية مع اختلاف الأماكن والشخوص والأزمنة، الأمر الذي يثير علامات الاستفهام حول الأهداف الغربية من تكرار هذه الحملات الكربونية ضد الإسلام ؟ مما يُعطي انطباعاً بأن تكرار الإساءات هي حملة منظمة تستهدف الإسلام.

تكرار الإساءات والحملة ضد الإسلام:

تكرار الحدث يعطى قناعة أن القضية ليست تصرفات فردية من قبل بعض الموتورين إنما هى سياسة شبه عامة لدى الغرب للنيل من الإسلام وهذا الاستنتاج ليس من قبيل التفسير التآمرى بل المتابع العادى للتصريحات والسياسات الغربية يجزم بأن الإساءة للإسلام أصبحت توجهاً عاماً لدى الغرب وليست تصرفات فردية.

هجوم واسع على الإسلام

يسعى المسلمون على الدوام جاهدين إلى مزيد من التقارب والتفاهم والتعاون في بناء جسور التواصل بين الشعوب والأديان والثقافات، بما يعزز القيم الإنسانية المشتركة ويحقق المصالح المشتركة ويغرس قيم التسامح وقبول الآخر واحترام معتقداته وثقافته ورموزه، فيما الغرب يشنّ هجوماً واسع النطاق ضد الإسلام بالذات، هجوماً عنيفاً لم يسبق له مثيل طوال التاريخ الإنساني. في حملة منظمة ومدبرة عن سابق قصد وإصرار لقطع جسور التواصل واستدامة أسباب الصراع وإحياء النزعات العدوانية وترسيخ الكراهية والبغضاء وتأجيج المشاعر التعصبية في كلا الجانبين، الأوروبي والإسلامي، وإساءة متعمدة للمسلمين جميعاً ولنبيهم العظيم.

ومن غير أي مبرر يعلن التباهي الأجوف والتحجج بحرية الرأي والتعبير. لقد وصل تبجح هؤلاء إلى المساس بالذات الإلهية، وتعددت الإساءات بين فلم سينمائي ورسوم ساخرة وتصريحات هنا وهناك، وتهديدات للمسلمين. ومحاولات عديدة لإكراههم وطردهم من أوروبا، وإساءة للقرآن الكريم. ومضايقات مختلفة ومظاهر مستفزة وسفاهات كثيرة ضد المسلمين جميعاً.

لن تؤثّر كل محاولات الإساءة

الإساءات إلى ديننا العظيم وإلى نبينا الكريم لها تاريخ طويل، والله حافظ دينه ورافع كرامة ومكانة نبيه ولن يمس تطاولهم الإسلام ونبيه بشيء، وما هم بضارين إلا أنفسهم وكيدهم يعود إليهم خسراناً وندامة. وحسرة، وهؤلاء إنما يسيئون إلى إنسانيتهم وثقافتهم ويهدمون قيم التسامح والعدالة والحرية وحقوق الإنسان بعملهم الأخرق. أما رسولنا الكريم فقد رفع الله مقامه وأعلى مكانته

وصان ذِكْره في قوله: (**إن شانئك هو الأبتر**){سورة الكوثر 3}، وقد تعرض رسولنا العظيم لإساءات أبلغ من قومه وعشيرته فقال له ربه: (**قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**){سورة الأنعام 33}، ثم طمأن قلبه بقوله تعالى: (**ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم**){سورة يونس 65}.

هل المسلمون مسؤولون عن الظاهرة ؟

إنّ صورة الإسلام في الغرب، هي انعكاس لوضعه داخل المجتمعات الإسلامية نفسها. فالمسلمون دخلوا العالم وأصبحوا ضمنه، ولا مجال أبداً للتراجع أو التريث. لقد أصبحنا وأصبح الإسلام وتفاصيل الفقه والعبادات والشرائع كل ذلك على طاولة البحث المكشوفة فيستطيع أي شخص تناول أبحاثها.

لكننا نحن أنفسنا لم ننه بعد دراسات معقدة تخص ديننا وتعنى بعلاقة الأفراد مع المؤسسة الإسلامية بشكل عام، فهل سنطلب من الغرب أن ينتظر بعض السنوات أو العقود، نتمكن خلالها من إيجاد حلول لمشاكلنا الداخلية الخاصة بنا. لا أحد اليوم يمكنه الانتظار حتى المسلمين أنفسهم باتوا ملحين في طلب الحلول للمسائل التي بقيت معقدة منذ قرون.

ونذكر بعض المسائل التي تثير الجدل وتنذر بالأخطار:

1. موقف المسلمين عموماً من الغرب لم يحدد بدقة.
2. موقف المسلمون عموماً من المسيحيين العرب لم يحدد بدقة بل هو بحاجة ماسة للمراجعة. وللتذكير فإن عقيدة المسيحيين العرب تختلف كلياً عن عقائد الغرب. وأصبح لابد من الدخول في مشروع حواري كبير يفضي إلى استبعاد كافة نقاط الاختلاف.
3. تحديد الهوية الإسلامية السنية، فهل هي متصوفة أم سلفية أم متمذهبة؟
4. إنهاء التمييز المعلن بين السنة والشيعة، والبدء بحوار جاد بين الطرفين للتوصل إلى نقاط اتفاق عريضة توقف الأزمة الفكرية بين الطرفين لينتج عنها وقف الخطاب الحاد الذي أدى إلى حدوث اقتتالات طائفية في العراق وباكستان.

5. مازالت مجتمعاتنا متعددة الانقسامات. ولم نتفق بعد على ثوابت نهائية تجمعنا، فالذين قاموا بحملات نصرة الدين والرسول هم أفراد ومؤسسات دينية، فيما المؤسسات الحكومية لم تعر الأمر أهمية تذكر، والتجار الكبار والأثرياء الذين يقدرون على تمويل جانب من هذه المشاريع لم يؤازروها حتى الآن. والإعلام العربي المتعدد الهويات لم ينشغل بالمسألة. وذلك يدل على التغاير القائم في المجتمعات العربية والإسلامية. وأمام هذا الواقع المرير لا يجد بعض الغيورين على الإسلام إلا حلاً واحداً، فيتصرفون وفق العواطف الجياشة ويقوم بعضهم بقتل أو اختطاف الأجانب أو الاعتداء على كنائس أو مبان تخص الغرب، وهذه النتائج تزعجنا جميعاً وتؤثر على العلاقة مع الغرب، ولن ينتج عنها سوى إساءات أخرى جديدة لنا جميعاً ولديننا الإسلامي الحنيف.
6. قام عدد من الغيورين على الإسلام بتأليف لجان للدفاع عنه، وأعلن عن تأسيس مؤسسة في البحرين وأخرى في اليمن وثالثة في الأردن. ولا يكفي أن يعتمد مواطننا على هذه اللجان وأن يسلّمها المسؤولية وحدها، بل إضافة لمساعيها يتوجب على كل مسلم أن يعمل بمفرده في المجال الفكري والحواري الذي يخدم الإسلام ويوقف الحملة الغربية المعادية.
7. المؤتمر الإسلامي المنعقد في 15 آذار 2007 أعلن عن استنكاره للرسوم المضحكة التي نشرت في الغرب. وهذا كل شيء يصدر عن المؤتمر كردة فعل غاضبة وعاصفة وقوية. فلماذا غضّ المؤتمرون الطرف عن طرق الإساءة الأخرى والتي هي أشد سوءاً من تلك الرسوم؟ كالعروض المسرحية والأفلام والمعارض والكتب والمقالات التي تفتري على الإسلام ؟.

والإساءات للإسلام ولرسوله ليست جديدة أو طارئة، بل لها امتدادات تاريخية، لكن لماذا زادت الإساءات مؤخراً؟

كثير من كتابنا يتكلمون اليوم عن تنامي ظاهرة الكراهية ضد المسلمين في أوروبا، وعن صعود اليمين المتطرف، وعن ظاهرة "الإسلاموفوبيا" في الغرب، والحملة ضد مايسمونه بـ "الفاشية الإسلامية". وهذا كله حقيقة واقعة، لكنها للأسف نصف الحقيقة، لأنهم إنما يكتبون عن الظاهرة في سياق لوم الآخر الغربي وتحميله وحده المسؤولية عن كراهية المسلمين، وهم بذلك يتجاهلون مسؤولياتنا ودورنا في نشوء هذه الظاهرة وتناميها.

نحن مسؤولون أيضاً، وعلينا أن نعترف بقصورنا عن تطوير خطابنا الإسلامي المتصالح مع العالم والمتلائم مع روح العصر ومعطياته وقيمه، لقد فشلنا في تقديم نموذج إسلامي حداثي يقبله العالم، سواء على مستوى النظام السياسي أو الحقوقي أو الاجتماعي أو حتى الفكري أو السلوكي.

ولو أنفقنا ملء الأرض ذهباً وجندنا الفضائيات والمواقع الإلكترونية والنشرات التعريفية، لا يمكن تصحيح صورة الإسلام عبر الحملات الإعلامية بمفردها لسبب بسيط، هو أن صورة الإسلام في الغرب، تصنعها صورته في المجتمعات الإسلامية أيضاً.

لقد نسينا أن الغربيين لا يهتمون بما نقوله ونمجده عن مبادئ ديننا ورسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، لكن يهمهم في الدرجة الأولى ما نفعله ونتعامل به من قيم الإسلام ومبادئه. الغربيون يحكمون على الإسلام من خلالنا، من خلال واقع المسلمين وأوضاعهم وسلوكياتهم وترجمتهم لتلك المبادئ والقيم في بناء مجتمعاتهم وحياتهم. لابد لنا إذاً من تطوير ذاتنا وتعميق فهمنا لديننا والتزامنا بشرائع هذا الدين. إننا في عصر شديد التسارع والخطورة، فالدفاع عن الإسلام لم يعد مسؤولية شيخ ما أو رجل دين، ولا هو محصور على فئة من المسلمين. بل هو اليوم مسؤولية كل مسلم. فلو عملنا جميعاً بنشاط كبير وسخّرنا كل طاقاتنا في مجالات كثيرة لاستطعنا التوصل إلى نتائج مفيدة.

اهتزاز بعض الشخصيات الإسلامية

نتج عن تلك الاعتداءات ظهور اهتزاز عند بعض الشخصيات الإسلامية

الضعيفة، وظهور تصريحات وكتابات كثيرة تحمّل كل المسؤولية عمّا يحدث للطرف الإسلامي وحده. وهؤلاء ليسوا سوى عملاء وخونة وجواسيس. خانوا بلدانهم وشعوبهم وأمتهم ودينهم. ويمكن توجيه اتهام لهم، من قبل المسلمين، بالخيانة العظمى. فقد تحوّل بعض هؤلاء بين يوم وليلة من خدم إلى نواب، ومن حثالة إلى (كتّاب ومفكرين) وذلك حسب الصفات والألقاب التي منحهم إياها الغرب. كما وتحولوا إلى أثرياء كما كانوا يشتهون، وسوّيت إقاماتهم ومنح بعضهم الجنسيات الأوروبية بعدما كانوا يعانون الجوع.

فئات الذين هزّتهم رياح الطاعون الغربي

1. أشخاص نفعيون قرروا أن يتسلقوا ليصلوا بسرعة إلى تحقيق مكاسب كثيرة وجعلوا من الأزمة القائمة بين المسلمين والغرب مطية وسلّماً يوصلهم إلى تلك الأهداف: وهؤلاء فشلوا في الوصول إلى المجد الذي يسعون نحوه. لأنهم لايمتلكون الكفاءة التي تبقيهم بين المشاهير. ومنهم سلمان رشدي وأيان هيرسي علي. ومحمد حسين، وآخرون سنتعرف عليهم.
2. أشخاص متعسّرون في الغرب ظنّوا بأنهم قادرون على التخلّص من العسرة فأقدموا على عرض خدماتهم التي يسمونها فكرية تقضي على التطرف: ورحّب الغرب بهؤلاء وأطلقت الصحافة عليهم اسم المرتدين عن الإسلام، وجرت معهم لقاءات وأعطيت لهم صفات المفكرين والباحثين. وحصلوا لقاء ذلك على مبالغ ترضي جوعهم.

ويقول أحدهم:

نحن وحتى الآن لم نستطع أن نقدم للعالم شيئاً ذا بال، لا على مستوى الفكر، ولا على مستوى الإنتاج والتنمية، ولا على مستوى الأنظمة والوسائل، لا زلنا نعيش عالة على الآخر المتفوق حضارياً، ومع ذلك فنحن الأكثر ضجيجاً والأعلى صراخاً والأعظم مكابرة وعناداً ورفضاً وانفعالاً.

مستقبل الخونة المرتدين عن الإسلام

الغرب لا يحترم العميل والخائن، بل يسخّره لمهمة ويستفيد منها، ثم يلفظه ويبعده. ويقضي عليه. وعندما يتم إبعاد هؤلاء الخونة لن تستقبلهم بلدانهم بالورود، بل حكم المسلمون عليهم بالموت. وها هي الصومالية أيان هيرسي علي، جرى استخدامها واستئجارها لمهام كبيرة. ومنحت هولندا والحاقدين على الإسلام ما لا يحلمون بالحصول عليه.

وفي النهاية تمّ إبعادها بسهولة وبجرّة قلم من وزيرة الهجرة. وقد نشهد في المستقبل القريب تراجع بعض هؤلاء عن إساءاتهم وإعلانهم التوبة والعودة للإيمان الإسلامي.

ولعلّه من المهم أن نوضّح بأن بعض هؤلاء لم يعلن صراحة كفره بالإسلام، وقد يكون الإعلام الغربي هو الذي أشار إلى ردة هؤلاء ومنعهم من الإدلاء بتصريحات مناقضة. إذ نلاحظ في طيات بعض عباراتهم دعوة بعضهم لتطوير الفكر الإسلامي والمجتمعات الإسلامية.

لماذا اختاروا شخصية الرسول الكريم؟

عاش الرسول الكريم حياة قصيرة منذ أربعة عشر قرناً، والغرب يدرك بأنه لم يسئ آنذاك للمسيحية ولا لليهودية ولا للأمة الغربية (الرومان والإغريق) التي يمكن اعتبارها أسلاف بعض هؤلاء الغربيين المعاصرين. ثم إنّ الرسول الكريم شخص غير معاصر وليس بينه وبين الغرب الحديث أزمة سياسية أو عسكرية أو إستراتيجية، ومن المؤكد أن هؤلاء الذين ينتقدون شخصه عليه السلام لا يعرفون شيئاً عن صفاته وعن عظمته. فالحالة الطبيعية الممكن أن تصدر من الغرب هي أن يقوموا بانتقاد أشخاص معاصرين ويتهمونهم إذا اكتشفوا فيهم نقاط عيوب. وهذا ما ظهر عند سطوع نجم الإمام الخميني (رحمه الله) إذ وجّهت لشخصه الكثير من الانتقادات الغربية والرسوم المضحكة. وحصل نفس الشيء تجاه الشيخ أسامة بن لادن (نصره الله). لكن أن تصعّد لهجة النقد الغربي لتحاول التطاول على شخصية

الرسول فذلك له دلالات كثيرة:

1. ليس الرسول الكريم وشخصه هو المقصود دوماً في تلك الانتقادات بقدر ما يقصد منها إذلال المسلمين وتحقيرهم وإهانتهم باعتبار الرسول هو أعظم المسلمين ورسولهم وحامل دعوتهم وخاتم الأنبياء والمرسلين.
2. بالنسبة للمسلمين فالرسول عليه السلام ليس مقدساً ولا يحمل قداسة إلهية، فهو بشر يصيب ويخطئ، ويعيش ويعمل ويتزوج وينجب. ولعلّ المقدس عند المسلمين هو كلام الله سبحانه (القرآن الكريم)، ولعلّ الغرب أو قسماً منه يعتقد بأنّ القداسة عند المسلمين هي للرسول الكريم فيقومون بالإساءة لشخصه بهدف الإساءة للمسلمين واستفزازهم في الصميم.
3. الله سبحانه وتعالى قال كلمته في القرآن الكريم: (إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون. لايمسه إلا المطهرون){سورة الواقعة 77 ـ 79} فالرهان الإلهي كان في موضعه، وذلك أن المقصود بالكتاب المكنون هو النسخة التي وضعها الله سبحانه لتكون شريعة للناس، وتلك النسخة محفوظة، وقد حفظها الله سبحانه وليس لنا أن نسأل عن تفاصيل ذلك. وهي التي قرر الله سبحانه بأن لا يمسها إلا المطهرون. وبالواقع فلم يمسها أحد من غير المطهرين. أي أن الرهان الإلهي كان صحيحاً وصادقاً ووعداً مبرماً. وهو دليل على صدق الآية وعلى أنها منزلة من عند الله سبحانه. وقد حصل أن عبث أعداء المسلمين بنسخ من القرآن الكريم، وهذا العبث يعتبر مشكلة أخلاقية ويزعج المسلم بما يخص رمزية القرآن الكريم وقيمة شرائعه.
4. أما الأنبياء عليهم السلام فلم يضرب الله لهم وعداً بأن لا يمسّهم أحد من الناس بأي نقد أو إساءة، بل في زمن نزول الوحي كان الرسول يتعرض للإساءات من الأعداء والجاهلين. فوهبه الله عزيمة وقدرة على تحملها. والأمر نفسه ينطبق على الأنبياء جميعاً الذين هم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما على الناس رغم اصطفاء الله لهم. هذا في المفهوم الإسلامي الواضح، أما في المفهوم المسيحي فحين يعتبر البعض أن المسيح مقدس بقداسة الله هنا لابد من طرح السؤال عليهم: لماذا حدثت في الغرب إمكانية الإساءة لشخصية السيد المسيح عليه السلام مادام يتمتع بالقداسة؟. ولماذا لم يحمه الله من تلك الإساءات؟

الجواب الإسلامي سهل وبسيط وهو أن المسيح عليه لا يتمتع بالقداسة الإلهية بل هو رسول وبشر، وهذا الجواب هو دليل آخر على صحة الرؤية الإسلامية لمكانة المسيح كرسول وعلى خطأ الرؤية المسيحية الغربية لمكانته كمقدس.

يذكر محمد أسد بعد اعتناقه الإسلام أنه في مجتمع غربى صغير كان البعض يعوج لسانه في لفظ كلمة محمد لتصبح ماهوميت وهو يشرح معنى ذلك اللفظ ويقول بأن (ما) هى ضمير التملك بالفرنسية ma و(هوميت) كانت تعنى كلب صغير.

طرق الرد التي اتبعها المسلمون

بدأت حملة الرد العربي من الفضائيات العربية، فقد تلقفت الجزيرة الخبر وجعلته محور النقاش الرئيسي ومارست تحريضاً واضحاً للشارع العربي، وأجرت الحوارات والنقاشات الحماسية وانتظرت ردود أفعال الشارع الفورية. وبالفعل استجاب الشارع العربي على الفور لتلك الحملة الاحتجاجية، ويمكن رصد ردود الأفعال العربية بهذه النقاط:

1. كافة ردود الأفعال التي صدرت عن المسلمين كانت تثير انفعالات المسلمين أنفسهم، وتزيد من آلامهم ومن شعورهم بالظلم والافتراء الذي تعرضوا له. أي أنها كانت موجهة للمسلمين أنفسهم وليس للغرب الذي قام بالافتراء والعدوانية.
2. كافة ردود الأفعال الإسلامية كانت تزيد من كراهية العرب والمسلمين للغرب، وهذه الكراهية سوف يكون لها تأثير بعيد على علاقات الشعبين.
3. وصلت إلى الغرب القليل من الرسائل والمعاني. لأن طرق الاستنكار والردود كانت محلية وكانت موجهة للداخل وليس للخارج. ومعنى هذا أن حملة الاستنكار كانت بلا جدوى.
4. انطلقت حملة استنكار واسعة في الإعلام العربي، وهذه الحملة لاتصل إلى الغرب ولن تؤثّر في قراره. ولن تمنع تكرار الإساءة.
5. تظاهرات شعبية انفعالية في المدن العربية والإسلامية، قد يسمع بحدوثها

القليل من أبناء الغرب، وهذه طريقة غير مجدية ولن تمنع تكرار الافتراء على المسلمين.

6. اعتدي على بعض السفارات الغربية وأحرقت بعضها وجرى اغتيال بعض السياح الأجانب الأبرياء واستشهد من المتظاهرين ستة أشخاص في ليبيا وهذه الأعمال ستصل أصداؤها إلى قسم من الغرب لكنها تعمّق الكراهية والأحقاد بين الشعبين، وبالنتيجة فهي لم توقف الحملة الغربية الافترائية.
7. استنكر بعض الزعماء والساسة ورجال الدين تلك الافتراءات، وأرسلت رسائل احتجاج حكومية لتلك الدول، وكانت كلها ضعيفة اللهجة.
8. أنشئت حملة نصرة محمد عليه السلام ويرأسها الشيخ القرضاوي وتجمع تبرعات لهذا الغرض.
9. إنشاء منظمة النصرة العالمية التي أعلن عنها في مؤتمر المنامة، ويرأسها الدكتور يوسف القرضاوي. وتعمل بوعي حضاري كبير لمنع كل أشكال الانتقادات الموجهة للإسلام والمسلمين.

نتائج طرق الرد التي اتبعها المسلمون

تنوعت طرق الرد التي رأيناها تصدر عن المسلمين، ولكنها جميعاً لم تأت بنتائج مفيدة توقف تلك الإساءات أو تحدّ منها.

فبعد ظهور الرسوم الأولى انطلقت المظاهرات والاحتجاجات في الكثير من المدن الإسلامية، وأدّت إلى قتلى وجرحى، واعتدي على بعض الكنائس ومواطني الغرب في بعض الدول، وانعقدت مؤتمرات وندوات وبرامج إعلامية وانشغلت صحفنا وكتاباتنا بالأمر، وكل ذلك لم يثمر بأية فوائد، بل استمر الحاقدون وازدادت وكثرت طرق الإساءة للإسلام وللمسلمين.

لكن تلك الوسائل التي جرت في العالم الإسلامي لم توقف الحملة العدائية الغربية، وفي الدانمارك نشرت 17 صحيفة دنماركية في منتصف فبراير 2007 رسماً كاريكاتورياً تحت شعار حرية التعبير. وتم هذا الأمر تضامناً مع صاحب الرسم الذي قيل أنه استهدف باعتداء من مسلمين هولنديين، وأنه تم إحباطه.

ودافع رئيس الوزراء الدنماركي أندرس فوغ راسموسن عن وسائل الإعلام في بلاده، التي أعادت نشر الرسوم الكاريكاتورية، مؤكداً أن الهدف لم يكن الإساءة إلى المسلمين. وأن الحملة لم تهدف إلى جرح المشاعر الدينية لدى الناس، لكن في الأنظمة الديمقراطية حيث الصحافة حرة، من الطبيعي أن يتمكن الناس من التعبير عن رأيهم.

ثم دعا وزير الداخلية الألماني فولفغانغ شويبل 27-2-2008 كل الصحف الأوروبية الى إعادة نشر الرسوم ، على غرار الصحافة الدنماركية، وذلك دفاعاً عن حرية الصحافة حسب زعمه .وصرح الوزير الألماني لمجلة دي تسايت أنه في الواقع، على كل الصحف الأوروبية أن تنشر تلك الرسوم الكاريكاتورية وقال : نعتبر أنها تثير الشفقة، لكن لجوء المسلمين إلى العنف رداً على ممارسة حرية الصحافة ليس مبرراً. وأعرب الوزير الألماني عن تضامنه مع الصحافة الدنماركية.

هذا التصاعد في طرق الإساءة لديننا الإسلامي يعني بأن كافة الطرق التي اتبعناها لم تكن مجدية أو مفيدة، وأن علينا أن نسلك طرقاً أخرى تحقق الكثير من النتائج.

فالمظاهرات الغاضبة كانت موجهة لنا نحن، نحن من احتجّ واستنكر ونحن من وجّهت له تلك الرسالة ونحن من استقبلها. وفي مدننا قتل واعتقل وتألم العشرات من المسلمين، فأصبحت مظاهرات الاستنكار أشبه بمناحات اللطم في عاشوراء. يتوجب علينا أن نطلق رسائل إلى الغرب نفسه، وأن لا يستطيع الغرب أن يعثر فيها على عيوب أو ضعف أو هوان أو طلب استرحام. وبنفس الوقت فلا تكون الرسالة عنيفة تدميرية فنوصف بالإرهاب والتطرف. يجب أن تكون رسائلنا فعّالة ومجدية.

طرق الرد المجدية

نقترح فيما يلي طرق الرد الفعّال التي يستطيع المسلمون القيام بها ونعتقد بأن نتائجها ستكون مجدية:

1. تحديد من يريد أن يقوم بالردّ الفعّال ومن يرغب به ومن يقدر عليه، أي

اختيار الأفراد والمؤسسات والجهات والحكومات وجمع ميزانية مالية لتمويل هذا العمل الكبير.

2. تحديد الإساءات التي تظهر من الغرب، أنواعها ومقاصدها والقائمين بها والجهات التي تحرضها. فمن الملاحظ تركيز العرب على الرسوم المضحكة بالدرجة الأولى، فيما ينتج الغرب مئات من طرق الاستفزاز والإساءة الأخرى والتي لم يشر إليها الإعلام العربي.

3. إصدار قوائم بأسماء وأعداد المتضررين من تلك الإساءات والرافضين لها والمطالبين بوقفها. وسيتطلب ذلك عملاً ضخماً في بلدان العالم كله، إضافة لإمكانية الاستفادة من الإنترنت في صنعه. وسيكون عدد هؤلاء بعد إتمام الإحصائية مساوياً لعدد مسلمي العالم بالطبع. إضافة لعدد كبير من غير المسلمين الذين يرفضون هذه الإساءات.

4. رفع شكوى رسمية لمجلس الأمن وطلب اتخاذ قرار بوقف تلك الحملات الافترائية.

5. استحداث وسائل إعلام إسلامية جديدة تنطق بلغات الشعوب الغربية وتكون جذابة ومثيرة للعقل الغربي، وفيها يدافع المسلمون عن قضاياهم، ولتكون هذه الوسائل فضائيات وصحف ومجلات وإذاعات محلية غربية. ويستطيع العرب والمسلمون في أي وقت أن يشتروا وسائل إعلام قائمة معروفة أو يشتروا حصصاً سهمية فيها، وعندئذ سيمارسون إعلاماً إسلامياً من الداخل الأوروبي. فالغرب يحتج بحرية الإعلام ولندخل نحن ضمن هذه اللعبة الإعلامية. فوزراء الغرب يجيبونا دوماً بأنهم لا يمتلكون صلاحيات التدخل بالمؤسسات الإعلامية، ولتكن في الغرب مؤسسات إعلامية تخدم كلمتنا.

6. لابد من استحداث مؤسسة إسلامية كبيرة تموّل مشاريع الدفاع عن المسلمين. ويجب أن تتمركز أعمال هذه المؤسسة في الغرب نفسه فتخاطب الغرب من الداخل. وكل هذا يتطلب مشاريع عمل مشتركة، وربما يكون هذا صعب المنال.

7. إن الفاعل الحقيقي والمفتري الحقيقي على الإسلام هو المسيحية الإنجيلية التي يدعمها الصهاينة في الغرب، وهي التي تخطط للإساءة لديننا ويجب الرد على هذه المنظمات والجماعات الضاغطة بكشف أسرارها للمواطن الغربي، وبالكشف عن سيطرتها على القرار الغربي، واستعبادها لأبناء الغرب الذين يسعون للتحرر منها. ويجب العمل على تحرير الغربي من هيمنتها على قراره. ومما لاشك فيه أن تصريحات الحلف المواجه للصهيونية، أحمدي نجاد وحسن نصر الله، هذه التصريحات القوية بحتمية زوال دولة إسرائيل تصل إلى الشعوب الغربية كلها وتخفف من هيمنة اليهودية وتدمر أركانها وأساطيرها. كما أن مواجهة حزب الله وحماس للصهيونية ونخص بذلك صواريخ حماس المستمرة: تلك تذكير دائم للعالم بأن فلسطين أرض لأصحابها العرب ولن تكون للصهاينة، وتكشف عن أكاذيب الصهاينة واليهود.
8. العمل على جذب الأفراد المنتقدين للإسلام وهم قلة يعيشون في الغرب، وإعادة هؤلاء إلى الصف الإسلامي وإعلانهم تخليهم عن نقد الإسلام، ومن ثمّ التزامهم بالدين ودفاعهم عن الإسلام. وقد تبين بأنهم يسعون للمال والشهرة والمناصب. أي لابد من إغرائهم بما يسعون لاكتسابه.
9. يتوجب على الحكومات الإسلامية استصدار قرارات تعاقب هؤلاء المرتدين الذين ينحدرون من الدول الإسلامية، وتحديد عقوبات مجدية بحقهم.
10. التركيز والحرص على عدم ظهور أفراد مرتدين آخرين وذلك بإصدار قوانين وأنظمة وإنذارات تمنع حدوث ذلك. وتوبّخ المرتدين. كما أنّ تحسن أوضاع العيش بكل جوانبها يقلل من ظهور أولئك الخونة. فالصومالية أيان هيرسي علي ظهرت نتيجة الحرب الصومالية العقيمة.
11. ضرورة محاكاة الغرب الذي يقوم بالإساءة، وهذه المحاكاة تعتمد على كادر مثقف فكرياً ودينياً ويجيد الحوار واللغات الغربية، ولابد من جمع هذا الكادر وتوجيهه وبدئه بالعمل الفوري.

12. إقامة مؤتمرات وندوات فكرية حقيقة توضّح أخطاء الغرب، ولابد أن تكون موجهة للغرب نفسه وللعقل الغرب. ولذلك يتوجب دعوة عدد كبير من المثقفين الغربيين لحضور هذا الندوات. إذ لا فائدة من ندوات يحضرها المسلمون المقتنعون بخطر تلك الإساءات.
13. الذين قاموا بالإساءة للإسلام حتى اليوم هم حفنة ضالة من الأشخاص، وعددهم قليل جداً، ونصفهم من أصول عربية أو إسلامية. ولعله من الضرورى دعوة هؤلاء جميعاً إلى ندوة حوار مع مفكرين مسلمين. ويمكن أن تقام تلك الندوة في بلد محايد كاليونان أو فرنسا. وستثمر عن تغيير أو تعديل أو انقلاب كبير في مواقف أولئك المسيئين.
14. مخاطبة الأثرياء العرب أصحاب الاستثمارات في الغرب، ودعوتهم لشراء وسائل إعلام غربية، وممارسة الإعلام الإسلامي من خلالها.

أبناء الغرب بشر ويمكن التفاهم معهم

نحن أمام عدو يمكن التفوق عليه ووضع حدود لاعتداءاته. فالمعتدون على الإسلام هم أشخاص وأفراد. ويمكن التفاهم معهم والتوصل إلى نتائج مرضية، فالغرب بشر وأناس يتعاملون بالعقل والحكمة والفكر. وهم يرجّحون الفكر الذي يقتنعون به. يجب أن نوصل للشعب الغربي كله رسائل عديدة مفادها أن الإسلام دين يختلف عن العقائد السائدة في الغرب، وأنه رسالة إلهية إلى البشر كافة. وأن خطوطاً حمراء تمنع أي إساءة للدين وللرسول والقرآن الكريم. فالقرآن الكريم هو وحده الكتاب المقدس المنزل من عند الله، وهو الخطاب الثابت الذي لا يجرؤ ولا يقدر أحد من البشر على التغيير فيه. ورسالة أخرى نوجهها للغرب ونصف فيها رسول الله إلى البشرية، وهو بشر مثلنا، وهذه الرسائل يمكن توجيهها فعلياً وبسهولة عبر الوسائل الإعلامية الغربية بواسطة إعلانات أو برامج مأجورة إذا تطلب الأمر. إذ ما فائدة الأموال العربية إن لم نسخّر قسماً منها في الدفاع عن الرسول الكريم والإسلام؟.

تجارب الاحتكاك الإسلامي مع الغرب

احتك المسمون مع الغرب طوال العصور الإسلامية السابقة كلها، وازداد هذا الاحتكاك في عصر الازدهار الإسلامى الأموى في الأندلس والذى استمر زهاء سبعة قرون. وتبع ذلك الحملات الصليبية التى أقامت مملكة أوروبية في القدس، قبل أن تندحر عنها، وتلا ذلك عهد التوسع الإسلامي العثماني في أوروبا، ثم جاء عهد الانتداب الغربى للدول العربية. ذلك الاحتكاك الطويل المشوب بالمجابهة والعدائية الغربية للمسلمين لم يصدر عنه طوال قرون إساءة من الجانب الغربى لشخصية الرسول محمد عليه السلام. فلماذا لم يستطع الغرب طوال تلك العصور أن يوجه انتقادات لشخصية الرسول العظيم؟ ولماذا تصدر الانتقادات في عصرنا هذا؟.

هل كان بمقدور المملكة الصليبية الغربية التى حكمت القدس بعض العقود أن يوجه أحد من رعاياها أي انتقاد لشخصية الرسول الكريم؟ بالطبع لا.! لأنهم كانوا يدركون بأن المسلمين المحيطين بكيانهم سيقومون بإبادتهم آنذاك. ورغم أنهم لم يجرؤوا على مثل ذلك الفعل فقد جمع لهم صلاح الدين جيوشاً إسلامية قضت عليهم ودحرتهم وخذلتهم.

السؤال عن الفاعل الحقيقي

معرفة الفاعل الحقيقى تسهّل علينا مخاطبته ومواجهته والرد عليه واتخاذ عقوبات بحقه. فالرسوم المسيئة لا يمكن معاقبة الدانمارك كلها عليها، بل لابد من حصر العقاب أو الخطاب أو التفاهم مع مثيريها، وهم نفر من الأشخاص المشوهين. ومع الجهات المحرضة لها. وهذا ما لم يحصل بالفعل.

لماذا لم يستفد أحد في الغرب من الدرس الإسلامي نفسه؟ بل لم يشأ الغرب أن يراه رغم وضوحه. فعلى طول وعرض البلدان الإسلامية لم يخطر لأحد من المسلمين أن يواجه الغرب بنفس الطريقة النقدية. لأن المسلمين يحترمون الأنبياء جميعاً ولا يسمحون للغرب نفسه بأن ينتقد شخصية السيد المسيح عليه السلام. والغرب يعرف بأن المسلمين يستعلون عن الانشغال بمثل تلك الأخطاء والانتقادات. فلماذا لم يعتبر الغربيون بعد من هذا التفوق الفكري والأخلاقي والديني الموجود عند المسلمين؟ هنا ينكشف لنا البعد السياسي والحكومي المنظّم والموجه لتلك

التعديات اللاأخلاقية، ويظهر تأكدنا بأنها ليست من صنع أفراد يحكّمون آرائهم وعقولهم وتجاربهم بل هى حدث من منظومة غربية تقف وراءها وتخطط لها بدقة وتسعى من خلالها لتمييع العقائد والأركان والشرائع عند المسلمين. ويتحدث الساسة الغربيون بوضوح عن ارتباط الأحزاب العنصرية الأوروبية بالإنجيلية الصهيونية القوية في الولايات المتحدة.

المنتقدون المنشغلون بالإساءة للإسلام يمكن تصنيفهم كالتالى:

1. عدد قليل من ذوي الأصول الإسلامية أو العربية، وهؤلاء لهم مشاكل سياسية مع حكومات بلدانهم، وأجبروا في الغرب على الدخول في خط العدائية للإسلام، وإن هم إلا أدوات يتم تلقينها بالكلمات والتصريحات والتي تتفوه بها، ويتم إلزامها بتوقيت التصريح ومكانه. وهؤلاء نقترح من الدول الإسلامية أن تصدر عفواً سياسياً عنهم ليتسنى لهم العودة إلى أوطانهم فيتم إسكاتهم بهذه الطريقة.
2. عدد قليل من الغربيين، ومن هؤلاء متحزبون متطرفون يتسلقون في سعيهم للنجاح في الانتخابات وكسب الأصوات بواسطة الإساءة إلى الإسلام.
3. فنانون وصحفيون مغمورون وفاشلون يعملون في صحف ضعيفة ومغمورة ويسعون إلى الشهرة بواسطة النقد الذي يوجهونه للإسلام.

ولمّا كان كلّ هؤلاء من الضّعاف والمغمورين فقد استطاعت المسيحية الإنجيلية والمنظمات الصهيونية واليهودية الغربية أن توجّههم وتجعلهم أداة طيّعة لخدمة مصالحها.

تهمة الشمولية الإسلامية

أصدر اثنا عشر كاتباً، بينهم سلمان رشدي، بياناً حملته صحيفة أسبوعية فرنسية يحذرون فيه مما وصفوه بـ"الشمولية" الإسلامية.

وقال الكتاب إن العنف الذي اندلع بعد نشر الرسوم الكاريكاتيرية التي سخرت من النبي محمد، يظهر الحاجة إلى الوقوف إلى جانب قيم العلمانية والحرية والدفاع عنها، حسب البيان.

النص الكامل للبيان

نشر البيان في مطبوعة شارلي إبدو، وكانت واحدة من عدة صحف أوروبية أعادت نشر الرسوم. واختيار هذه المطبوعة لنشر البيان يدل على ضعف ذلك الصف المعادي للإسلام، فهم لا يقدرون الوصول إلى الصحف الكبيرة الشهيرة. وكانت الرسوم، التي نشرت أول مرة في الدنمارك في صحيفة مغمورة أيضاً، قد أثارت غضب المسلمين في أنحاء مختلفة من العالم واعتبرها الكثيرون إساءة مباشرة للدين الإسلامي. وكان من بينها صورة يصور فيها الرسام النبي محمد وكأنه مفجر إرهابي. ودافعت الكثير من الصحف عن قرارها إعادة نشر الرسوم مستندة إلى حرية التعبير. يذكر أن بين هؤلاء الكتاب من وجّهوا انتقادات للإسلام أو ألفوا أعمالاً أو أعربوا عن آراء معادية للإسلام أو لرموز إسلامية، وصدرت ضد الكثيرين منهم فتاوى بإهدار الدم، أو يتعرضون لتهديد بالقتل نتيجة آرائهم. والموقعون على هذا البيان هم أهم الشخصيات العالمية المعادية للإسلام ويمكننا أن نطلق عليهم مصطلح (أعداء الإسلام)، وقد وردت أسماؤهم في هذا البيان.

أعداء الإسلام:

سلمان رشدي - كاتب بريطاني هندي المولد صدرت ضده فتوى بإهدار الدم بسبب كتابه آيات شيطانية.

أيان هيرسي علي - نائبة هولندية صومالية المولد ألفت فلم الخضوع الذي قتل مخرجه تيو فان جوخ.

تسليمة نسرين - كاتبة بنغلاديشية في المنفى بعد صدور فتوى بإهدار دمها عقب روايتها العار.

برنار- آنري ليفي - فيلسوف فرنسي.

تشالا شفيق - كاتب إيراني منفي في فرنسا.

كارولين فوريست - كاتبة فرنسية.

وجاء في البيان "بعد التغلب على الفاشية، والنازية، والستالينية، بات العالم

يواجه الآن تهديداً عالمياً جديداً، وهو الشمولية الإسلامية".

وتابع "نحن، كتاباً وصحفيين ومفكرين، ندعو إلى مقاومة الشمولية الدينية وتعزيز الحرية والفرص المتكافئة والقيم العلمانية للجميع".

وأضاف البيان أن الاشتباكات حول الرسوم "عكست ضرورة النضال من أجل تلك القيم العالمية".

"لسنا نشهد صداماً للحضارات ولا عداء بين الغرب والشرق، بل كفاحاً دولياً ومواجهة بين القوى الديمقراطية والقوى الثيوقراطية (الدينية)".

وقال الكتاب إنهم يرفضون حرمان الرجال المسلمين والنساء المسلمات من "حقوقهم في المساواة والحرية والعلمانية باسم احترام الثقافة أو التقاليد".

كما قالوا إنهم لن يتخلوا عن انتقاداتهم من منطلق الخوف من اتهامهم بالإسلاموفوبيا أو معاداة الإسلام.

"التشدد الإسلامي أيديولوجية رجعية تقضي على المساواة والحرية والعلمانية أينما حلّت"، وقالوا إنها تستمد وقودها من الخوف والإحباطات.

تسليمة نسرين

أساءت للإسلام فلم تجد بلداً يأويها

الكاتبة البنغلاديشية تسليمة نسرين طلبت من الهند إعطاءها الجنسية الهندية وعللت ذلك بزعمها أنها تخاف على حياتها في وطنها الأم بنغلاديش التي هربت منها سنة 1994 وقضت معظم وقتها منذئذ في أوروبا وخصوصاً في السويد كما زارت الهند بين الحين والآخر لتقضي أسابيع في مدينة كلكوتا عاصمة ولاية البنغال الغربية التي هي جزء من البنغال الكبرى وتستخدم نفس اللغة البنغالية الرائجة في بنغلاديش. وكان هروبها من وطنها بعد تعرضها للانتقادات والتهديدات عقب نشرها رواية «لاجا» (العار) التي زعمت فيها أن الهندوس تعرضوا للمذابح في بنغلاديش عقب هدم المسجد البابري في الهند وأن الأقلية الهندوسية في بنغلاديش

تواجه الاضطهاد على أيدي الغالبية الإسلامية. ويرى معارضوها في بنغلاديش أنها قد اختلقت قصصاً وهمية ذكرتها في كتابها.. وكتبها التالية هي الأخرى أثارت ضجة بسبب خروجها عن حدود الأدب بل وصل بها الأمر أن حكت عن علاقاتها الجنسية مع مختلف الرجال في سيرتها الذاتية. ومعظم كتبها تطبع الآن في كلكوتا حيث تلقى تشجيعاً من حكومتها التي يديرها الشيوعيون. ومن تخرصاتها مطالبتها بتغيير القرآن الكريم نظراً لزعمها بأنه لا يعطي المرأة حقوقها.

وكانت حكومة السيدة خالدة ضياء قد اتهمت تسليمة نسرين بإهانة الإسلام والمسلمين عقب نشر رواية «العار» وألقت القبض عليها ثم أفرجت عنها بكفالة ريثما تستمر المحاكمة إلا أنها استغلت فرصة الإفراج المؤقت ففرت من البلاد وهي منذئذ تعيش في المنفى.

وتسليمة نسرين طبيبة أصلاً ثم تحولت لاحقاً إلى الكتابة. وهي قد عادت لفترة قصيرة إلى بنغلاديش سنة 1998 خلال مرض أمها ثم سافرت مرة أخرى بعد وفاة أمها التي لم تكن راضية بآراء تسليمة.

وقالت نسرين - 42 سنة - في تصريح لقناة هندية تليفزيونية أنها تريد العيش الآن في كلكوتا وأنها طلبت الجنسية الهندية أو حق الإقامة الدائمة. وأوضحت نسرين أنها لا تطلب اللجوء السياسي. وقالت تسليمة: «إن بنغال الشرقية قد أوصدت أبوابها أمامي ولذلك أريد أن أعيش في بنغال الغربية.» وقالت مصادر هندية أن نسرين قد أرسلت طلبها بالفاكس الى وزير الداخلية الهندي شيوراج باتيل. وقد سبق للهند رفض طلباتها المتكررة لتأشيرة الإقامة خلال السنتين الماضيتين.

وتسليمة نسرين هي ثاني كاتب بنغلاديشي يعيش في المنفى بسبب رد الفعل الشعبي. والشخص الآخر هو الشاعر (داود حيدر) الذي هرب من بنغلاديش في السبعينيات خلال حكم الشيخ مجيب الرحمن وذلك بعد نشوء حركة احتجاج ضد تخرصات مماثلة في حق الإسلام. وهو يعيش منذئذ في ألمانيا.

وكانت حكومة ولاية البنغال الهندية قد حظرت نشر وتداول آخر كتب تسليمة نسرين في نوفمبر 2003 بعد أن ثارت ضجة من مختلف أوساط المجتمع بما

فيه الأقلية المسلمة ضد كتاب لها تحكي فيه عن مغامراتها الجنسية وتتهم عدداً من الكتاب الهنود والبنغلاديشيين بممارسة الجنس معها. وهذا الكتاب هو الجزء الثالث من سيرتها الذاتية باللغة البنغالية والذي نزل الى الأسواق قبل الحظر بشهر. وعنوان هذا الجزء الأخير باللغة البنغالية هو «دوا خانديتا» أي «المشطورة إلى نصفين». وقالت مصادر هندية أن الصفحتين 49-50 من هذا الكتاب تحويان إشارات غير لائقة حول رسول الإسلام. وقد تم حظر الكتاب في بنغلاديش أيضاً.

الرسوم تظهر تعجرف الغرب

بينما يقول البعض إن الرسوم لا تخرج عن منظومة العلمانية الأوروبية التي تسخر من المسيح ورموز الديانات الأخرى، ذهب نقاد إلى القول إن تلك الرسوم وطريقة نشرها تظهر تعجرفا أوروبياً ومعاداة الإسلام.

ويشبهها الكاتب المسلم ضياء الدين سردار بالصور المعادية للسامية التي نشرت في أوروبا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، معتبراً أن الصور (الجديدة) تظهر المسلمين على أنهم عنيفون ومتخلفون وأصوليون. ورغم اجتهاد السيد سردار بهذا الوصف فإننا لانوافقه. فالسامية التي جرت معاداتها في الغرب لم تكن أمة كبيرة بحجم الأمة الإسلامية، فلم يزد عدد يهود العالم عن 15 مليون، بينما يبلغ عدد المسلمين حوالي 1.7 مليار. كما لم تكن السامية في كل العصور رسالة للإنسانية مثلما هو الإسلام رسالة عدل وشريعة وسلام. فاليهودية حسب اليهود أنفسهم هي عنصرية وعرقية لا تسمح لغير اليهود بالانضمام إليها. ثمّ إن اليهود مارسوا طوال العصور تصرفات وأعمال مشينة جعلت الغرب ينفر منهم ويعاديهم، ثم يطرحهم بعيداً عنه في فلسطين. بينما الإسلام هو رسالة محبة وعدل للبشرية كلها. وعندما حكم المسلمون الأندلس نهضوا بالمملكة وطوروا الشعب

والفكر والإيمان والعدل والمحبة.

أنواع النقد الموجه للإسلام والمسلمين

انتقاد يدلّ على التخبط

من بين الانتقادات التي وجهت للإسلام، نلاحظ تخبط وهذيان قسم من الناقدين، فهم يطلقون آراء وكلمات فارغة من المعنى والمضمون. ونكتشف في مقابلة واحدة مع أحدهم أنه في نفس الحوار يناقض نفسه فلا يدرك أبعاد كلماته، فأحدهم يدعو إلى محاربة المسلمين والقضاء عليهم وبتر الإسلام من العالم، ويرى استحالة أية دعوة إصلاحية داخل المنظومة الإسلامية. وفي نفس الحوار يتحدث بآراء إصلاح في المجتمع الإسلامي ويطالب بإصلاح الخطاب ويدعو لتطوير المجتمع الإسلامي.

انتقاد يدل على الغباء والإنحطاط

في شباط 2007 وصفت السياسية ، **سوزان فينتر** من حزب الحرية النمساوي النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بألفاظ سيئة لا يمكن ذكرها هنا. وطالبت بأن **يعود الإسلام من حيث أتى "فيما وراء البحر المتوسط"**، وتصف المسلمين بـ"رافعي المؤخرة في الصلاة" للحط من قدرهم، وتقول: أنصحكم بألا تكونوا بمثل هذه الحساسية" وتقصد أن لا يكونوا ملتزمين بأداء الطقوس الإسلامية، وألا ينزعجوا من النقد الموجه إليهم .

هذا النوع من النقد رغم قساوته ووقاحته فهو لا يشكّل نقداً حقيقياً للإسلام ولا للمسلمين، بل يمكن وصفه بغوغائية اللقطاء السافرين العابثين.

فالإسلام مشروع تشريعي إلهي عظيم يمكن مناقشته على مستوى المفكرين والعلماء والمشرعين والساسة، وبمصطلحات تليق بهذا التشريع، وبنظريات تكون قادرة على استيعاب وفهم منظومات هذا التشريع. أما أن تخرج سوزان فينتر من قمامة الشوارع وتضع نفسها بين هؤلاء المناقشين للإسلام، وتحكم على الإسلام من صورة الركوع والسجود فحسب فذلك يدل على ضعف أعداء الإسلام، ويشير

إلى إمكانية مواجهتهم بسهولة، بل وكسبهم في المرحلة التالية وجذبهم إلى الصف المدافع عن الإسلام.

ثمّ ما هو الموضوع الإسلامي الذي تناولته سوزان فينتر؟ وأية مسألة وضعتها على طاولة البحث وقامت بمناقشتها؟ نلاحظ بأنها لم تتناول مسألة محددة، ولا موضوعاً إسلامياً معيناً، ولم تناقش في أي أمر إسلامي، بل كانت كشخص دنيء يقف تحت أسوار قلعة شاهقة يشتم ويسبّ ثم يتوارى في الظلام مرتعداً. هؤلاء هم الأفراد الذين يعادون ديننا ويوجهون له الانتقادات، وهذه هي صفاتهم التي تحدد مستواهم. إنهم بحق حثالة المجتمعات الغربية. وبالتالي حثالة البشرية.

واعتماداً على مبدأ (كل إناء بما فيه ينضح) فقد رأت سوزان فينتر (صورة مؤخرة) أي أن مستوى تفكيرها وأفق معرفتها لا يمكن أن يسمو إلى مناقشة حقيقية بعيدة عن الشذوذ والانحطاط.

معادون للإسلام يدّعون الفكر والثقافة

يعتبر **سلمان رشدي** أشهر منتقدي الإسلام، وأكثرهم نجومية في الغرب، ورغم هذا الصيت الذي حازه فهو ضعيف بكافة المستويات. وأعماله الأدبية ليست ذات قيمة أدبية حقيقية، فلم يصل وليس له القدرة أن يصل إلى مستوى الأدباء العالميين، ولا شك بأن التاريخ سيضعه في قائمة المتسلّقين الصغار. وسلمان رشدي هو بحق مدّعي الثقافة والأدب وليس بأديب.

انتهازية النقاد الجدد

محمد حسين يعيش في بريطانيا ويسعى أن يصل إلى القمة خلال فترة زمنية قصيرة، فانضمّ إلى حزب التحرير، ولم يحقق من خلال انضمامه لا الثروة ولا المكاسب التي كان يسعى إليها، فانتهز فرصة الحاجة الغربية لمعلومات تفصيلية عن المسلمين، ترك حزب التحرير واتجه نحو الصحافة ليشهّر بالإسلام والمسلمين. واستبدل اسمه ليصبح إد حسين. وأصدر كتابه الذي باع فيه ضميره ودينه وكرامته. فتكفّلت أكبر دار نشر بريطانية في توزيعه. وهي دار بنغوين في بريطانيا. وعنوان الكتاب "**الإسلاموي**" أثار هذا الكتاب الكثير من ردود الفعل

داخل الجالية الإسلامية وخارجها. فقد نشرت تقاريرُ ومقالات وكتب عدة تتناول أوضاع المسلمين البريطانيينِ. لكن لا شيء أثار الغضب مثل ذاك الذي أثاره نشر كتاب "الإسلاموي"

إن غلاف كتاب "الإسلاموي"، يُوضّحُ بجلاء نية المُؤلف: "لماذا انضممتُ إلى الإسلام الراديكالي في بريطانيا، وماذا رَأيتُ في داخله ولماذا تَركتُه." يعرض في كتاب طرقَ عَمَلِ المجموعات الإسلاميةِ مِن الداخل.

عقدة اللاسامية في الغرب

يشبّه أبناء الغرب حملة النقد المسيئة للإسلام باللاسامية المعادية لليهود، وجاءت هذه التشبيهات على ألسنة المرتدين والغربيين المعتدين على الإسلام، وكذلك صدرت من الإعلاميين والمفكرين والمؤرخين الغربيين، وهذا التشبيه غير مقبول وغير جائز على الإطلاق. بل هو دليل على ضعف أولئك في رؤية الإسلام ومجتمعاته، فالصهيونية عنصرية فيما الإسلام دعوة رحمة ورسالة سلام للبشرية. واليهود قلة مارقون وعنصريون وكارهون للمجتمعات العالمية ومجرمون وقتلة، فيما المسلمون تعدادهم كبير وهم دعاة سلام ومساهمون في بناء المجتمعات البشرية وحرية الإنسان.

لكن ماهي عقدة اللاسامية تلك؟. يعاني الغرب كلّه منذ قرون عديدة من عقدة اللاسامية ومعاداة اليهودية، وتطورت تلك العقدة باستمرار في الغرب، لدرجة أن اليهود استطاعوا من خلالها فرض قوانين وتشريعات وأنظمة في كافة دول الغرب تمنع الإساءة لليهود، وتعتبر أي نقد يوجه إليهم هو بمثابة طائفية وعنصرية لاسامية، وتطور الأمر فاستطاع اليهود أن يفرضوا مثل تلك العقوبات خارج دول الغرب، فقد استطاعت الصهيونية وقف عرض مسلسل عربي مصري اتهمته باللاسامية. واستطاعت الصهيونية أن توسّع سيطرة قوانين اللاسامية فأصبحت تمنع في الغرب نقد إسرائيل المزعومة وسياساتها وجرائمها، وقد حوكم الفيلسوف الفرنسي روجية غارودي لأنه أعلن عن جرائم الصهيونية في لبنان عام 1982 ومنذ نهاية الحرب

العالمية الثانية فرضت الصهيونية على أبناء الغرب كله منع تناول أو تكذيب أو مناقشة أكذوبة المحرقة وأساطير الإبادة المزعومة، ومن هنا استمرّت عقدة اللاسامية في الغرب.

ما هو النقد الديني؟

نتناول آراء الفيلسوف **كريستوف توركه** التي تتمحور حول النقد الديني، فهو يقول:

ليس كل تهكم واستهزاء له مغزى تنويري. فإذا تهكم النازيون بالديانة اليهودية فلم يكن ذلك من قبيل النقد الديني، وإنما لون من التحريض ضد اليهود. وفي الهند إذا تهكم أحد الهندوس بالإسلام أو تهكم مسلم بالهندوسية فلن ينظر إليه على أنه من قبيل النقد الديني وإنما هو جزء من حرب دينية كامنة تؤدي المرة تلو الأخرى إلى اضطهاد المجموعة الأخرى بل إلى مواجهات جماهيرية واسعة.

تاريخياً يعتبر "النقد الديني" على وجه الإجمال شيئاً "هدّاماً من الداخل" بحسب الفيلسوف **كريستوف توركه** المقيم بمدينة لايبزج، وهو لا يصدر في الغالب من الأتقياء وإنما من أولئك الذين يتعاملون مع الموضوع بطريقة عاطفية وانفعالية. إن النقد إذا كان موجهاً ضد السلطات الدينية القوية فلا بد حسب كريستوف توركه أن يكون مصحوباً بتهكم واستهزاء، لكن التهكم له أشكال متعددة.

كتب كريستوف توركه أن:

"التهكم والاستهزاء كان لهما مغزى تنويري فقط عندما كان الضعفاء يستخدمونهما كسلاح ضد الأقوياء". وإذا تهكم الأقوياء أو المثقفون على الضعفاء فإن ذلك يعد نوعاً من الدناءة، وقد يكون فيه شيء من العنصرية. ومجمل القول؛ فهناك فرق إذا وصف مرتد عن الإسلام النبيَّ محمداً بأوصاف سيئة "-" أو إن صدر هذا النقد من قِبل ذوي الأفق الضيقة بضاحية شارلوتنبورغ الذين يأنفون من الأتراك والعرب المتخلفين.

النقد الداخلي

الغرب يعبّر عن حاجته الماسة لمسلمين ينتقدون الإسلام من الداخل. ويرون بأن

النقد الداخلي للإسلام هو أفضل وسيلة لهدم تراكيبه ولمحاربته. ولذلك فالغرب يقوم بتعظيم كل مسلم يبيع نفسه ويقوم بانتقاد الإسلام. ومن ذلك تم تعظيم سلمان رشدي. ثم أيان هيرسي علي التي جعلوها برلمانية هولندية وهي لا تمتلك بطاقة شخصية، ومنحتها صحيفة أمريكية لقب واحدة من أهم الشخصيات العالمية.

وبين عشية وضحاها يصبح هؤلاء المرتدون عن الإسلام أثرياء ومشاهير وساسة وتصبح لهم حراسة خاصة وسيارات تنقلهم ويلتقون بالساسة بعد أن كانوا متعثرين لا يجدون لقمة العيش في المهجر. فالصومالية أيان علي كانت خادمة وتطورت عندما اشتغلت طبّاخة، وأصبحت سياسية بعدما انتقدت الإسلام.

وفي العام 2007 لم ينحدر أحد من المسلمين في ذلك التيار الهابط، فبقي أن تعلن الحكومات الغربية عن زيادة في الأموال والمزايا الممنوحة لكل من يعلن عن ارتداده عن الإسلام ويأتي إلى انتقاده.!. وقد نرى ذلك حقيقة في المستقبل، فالغرب لا يخجل من دناءة أعماله.

ويوجّه المشتغلون بانتقاد الإسلام هذا السؤال ويبحثون عن أجوبة عليه: "ألا يعني كل ذلك في النهاية أن الأديان لا يمكن انتقادها إلا "من الداخل"؟"

ويكتشف البعض بأن ديانة الأغلبية - خاصة عندما تفرض لنفسها حق التأثير على سلوكيات مجتمع من المجتمعات – من الممكن أن تتعرض للنقد من دون حرج كبير من قبلِ أفراد إحدى الأقليات (المتدينة). ويتركز البحث الغربي عن مسلمين متدينين لإخراجهم من دائرة التدين الإسلامي ووضعهم في جبهة النقاد لما يتمتعون به من قوة تأثير وسلطة دينية في المجتمعات الإسلامية. وبالطبع لن يحصلوا في المستقبل على أحد من هؤلاء.

بحث غربي عن النقّاد القدامى

بحث الغرب بسرعة عن أولئك الذين باعوا أنفسهم وانتقدوا الإسلام فالتقوا بالكاتب الهندي **سلمان رشدي** وقامت ملكة بريطانيا بتكريمه ومنحته أرفع وسام ملكي عام 2007، ولم يكن لذلك المنح أي مناسبة أو مبرر. فروايته باتت قديمة وقد مضى عليها نحو عقدين من الزمن، ولم تتمتع روايته بقيمة أدبية رفيعة ولا بالمستوى العالمي الذي يجعلها من الأعمال الأدبية المميزة. لكن كان لذلك المنح مبرر

واحد عند السياسيين البريطانيين وهو أنها تسيء للإسلام والمسلمين. وقد جاء المنح ليدل على وجود مشروع بريطاني وغربي واسع النطاق يهدف للإساءة للإسلام والمسلمين.

كما عثر الغربيون على الكاتبة **تسليمة نسرين** وتلقفتها وسائل الإعلام والصحافة وأغدقت عليها الهبات المالية من الأحزاب المتطرفة ومن المنظمات الصهيونية، وأعلن بأنها تلقّت تهديدات بالقتل فوكل رجال الشرطة بحراستها.

البحث عن نصر حامد أبو زيد

وفي هولندا كان **نصر حامد أبو زيد** المصري الذي يوصف بالفقيه، والذي حكمت عليه المحاكم الشرعية في بلده بـ"الإلحاد" وقضت بتطليق زوجته منه. كان العجوز منسياً ومتروكاً في بيته كلاجئ سياسي قديم قليل الكلام وبعيد عن النشاط السياسي. فتحرشّت به الصحافة لتحصل منه على انتقادات للدين الإسلامي عسى أن تسجلها باسم رجل مسلم.

هو من مواليد 1943 ، طنطا – محافظة الغربية ، حاصل على دكتوراه من قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، في الدراسات الإسلامية أستاذًا بقسم اللغة العربية وآدابها نفس الكلية.

تلقى في سنة 1975 - 1977 منحة من مؤسسة فورد (!) للدراسة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفي سنة 1978 - 1979 منحة من مركز دراسات الشرق الأوسط، جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن سنة 1985 - 1989 عين في اليابان، جامعة أوساكا للغات الأجنبية كأستاذ زائر، أما في سنة 1995 وحتى هذه الساعة فيعمل كأستاذ زائر (أستاذ دكتور) في جامعة ليدن بهولندا . من مؤلفاته:"الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية"، " نقد الخطاب الديني"، "البحث عن أقنعة الإرهاب، " التراث بين الاستخدام النفعي والقراءة العلمية" ، " إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني"، " مفهوم النص"، " التفكير في زمن التكفير"، "إشكاليات القراءة وآليات التأويل ".

رد عليه كثيرون: منهم : الأستاذ محمد جلال كشك في " قراءة في فكر التبعية"، وعبد الصبور شاهين في " قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة"، و الدكتور رفعت عبد المطلب في " نقض كتاب نصر أبو زيد ودحض شبهاته"، والدكتور سيد العفاني في " أعلام وأقزام"، والدكتور محمد سالم أبو عاصي في رسالته" مقالتان في التأويل - معالم في المنهج ورصد للانحراف"، والدكتور عواد العنزي في رسالته " المعاد الأخروي وشبهات العلمانيين" - لم تُطبع بعد - .. وغيرهم . ومن أفضل من رد عليه وكشف حقيقة أفكاره- الأستاذ طارق منينه في رسالته " أقطاب العلمانية في العالم العربي والإسلامي"، وعنه نقتبس هذا النقد.

فكرته: نادى أبو زيد بإخضاع القرآن لنظرية غربية مادية تنكر الخالق وتؤول الوحي الإلهي على أنه إفراز بيئوي أسطوري، ناتج عن المعرفي التاريخي الغارق في الأسطورة.

اسم هذه النظرية «الهرمنيوطيقا»، و«مصطلح الهرمنيوطيقا» مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية اليهودية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني «الكتاب المقدس اليهودي» .. يشير المصطلح إلى «نظرية التفسير» ويعود قدم المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام 1654م وما زال مستمرًا حتى اليوم خاصة في الأوساط البروتستانتية والصهيونية اليهودية، والمسيحية الإنجيلية المتأثرة باليهودية. وقد اتسع مفهوم المصطلح في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعًا تشمل كافة العلوم الإنسانية؛ كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفلوكلور.

والقضية الأساسية التي تتناولها «الهرمنيوطيقا» بالدرس هي معضلة تفسير النص بشكل عام، سواء كان هذا النص نصًا تاريخيًا، أم نصًا دينيًا .

من علماء «الهرمنيوطيقا» المفكر الألماني شلير ماخر (1843م) و «ويلهلم ديلش» (1833م – 1911) و «مارتن هيدجر» و «جادامر». يقول نصر أبو زيد: «وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند جادامر بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي،

نقطة بدء أصيلة للنظر إلى علاقة المفسر بالنص لا في النصوص الأدبية ونظرية الأدب فحسب، بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن».

يقول الدكتور عبدالوهاب المسيري عن الهرمنيوطيقا: "هي مشتقة من الكلمة اليونانية "Hermeneuin" بمعنى يُفسِّر أو يوضِّح - من علم اللاهوت - حيث كان يقصد بها ذلك الجزء من الدراسات اللاهوتية المعني بتأويل النصوص الدينية بطريقة خيالية ورمزية تبعد عن المعنى الحرفي المباشر، وتحاول اكتشاف المعاني الحقيقية والخفية وراء النصوص المقدسة"- كما تزعم. لقد طالب أبو زيد بالتحرر من سلطة « النصوص» وأولها «القرآن الكريم» الذي قال عنه : «القرآن هو النص الأول والمركزي في الثقافة » . «لقد صار القرآن هو « نص» بألف ولام العهد» «هو النص المهيمن والمسيطر في الثقافة» « فالنص نفسه - القرآن - يؤسس ذاته دينًا وتراثًا في الوقت نفسه».

وقال مطالبًا بالتحرر من هيمنة القرآن : «وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورًا قبل أن يجرفنا الطوفان ».

وهو نفسه ما فعلته أوروبا مع «الوحي» و «الدين» باعتبارهما إنتاج مجتمعات قديمة وبيئات ثقافية متخلفة، وينقل «نصر أبو زيد» المعركة مع «الوحي» إلى ساحة العالم الإسلامي فيقول : «بأن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي»!

ويقول: «إن القول بأن النص منتج ثقافي يكون في هذه الحالة قضية بديهية لا تحتاج إلى إثبات».

يستهدف أبو زيد، بالنقد والتحليل، خطاب الوحي، بجعله مادة لمعرفة نقدية عقلانية، شأنه بذلك شأن أي خطاب بشري وأي إنتاج معرفي .. مستلهمًا موقف طه حسين الذي اعتبره أبو زيد الفدائي الأول في مقاومته للنظرة التقديسية إلى النصوص الدينية.

إن مشروع «نصر أبو زيد»، هو وضع التصورات الماركسية والمضامين المادية الجدلية وتفسيراتها للحياة والكون والإنسان والوحي والنبوة والغيب والعقيدة في

المعنى القرآني فيصير القرآن ماركسيًا ينطق باسم ماركس وفلاسفة المادية الجدلية والهرمنيوطيقا (نظرية تفسير مادية) فيغير بذلك المفاهيم الرئيسة للقرآن، ويلغي المعاني الحقيقية للسور والآيات ، ويطمس الحقائق الدينية التي رسخها القرآن وبينتها السنة.

وهو لا يفعل في معركته مع الإسلام وتاريخه وعلمائه المحدثين والقدامى إلا ما يفعله الماركسيون العرب إحياء للموقف اللينيني الذي وظف التراث في الصراع الإيديولوجي ، فلينين – كما يقول جورج طرابيشي – هو أول من دعا إلى التعاطي مع التراث بمنهج البضع والبتر من خلال مناقشاته في مطلع القرن مع الشيوعيين الروس ... فلينين .. لم يكن يهمه من التراث حقيقته التاريخية ، بل قابليته للتوظيف في الصراع الإيديولوجي».

إنه منهج الإسقاط الإيديولوجي، الذي يستخدم القرآن للإيديولوجية المسبقة!.

ومنهج الإسقاط الإيديولوجي يتنطع أكثر من الفهم أو عدم الفهم ، فهو ينصب نفسه جراحًا يريد إخضاع التراث لعملية جراحية ليستأصل منه ما يعتقد أنه أورامه الخبيثة.

إن «القرآن» عند المستترين بالإسلام من المتلاعبين بالنصوص من فئة العلمانيين الذين اتخذت طريق الهدم من الداخل وسيلة لتهديم المجتمع الإسلامي ومقدساته الإسلامية إن «القرآن» عندهم «قالب وإناء» «فارغ»، لا ينطق بما أنزل به من عند الله على محمد – صلى الله عليه وسلم - رسول الله وخاتم النبيين وإنما ينطق بإيديولوجياتهم المسبقة ، فهم يحاولون أن يجعلوه بحسب هذه الإيديولوجيات الحديثة ناطقاً رسميًا لهم وحسب ! يقول ما يقولونه ويتكلم بما يتكلمون به، وهو عندهم كما قال «أبو زيد» ينطق بكل المذاهب والفلسفات؛ أي أنه ليس له معنى ثابت.

إذن فغاية الهرمنيوطيقا - التي هي نظرية في التفسير غربية المبنى والمعنى - تحطيم الأسطورة الدينية، والرمز لا يعنى شيئًا قط ، وإنما هو وسيط شفاف - أو حقيقة زائفة - ينم عما وراءه من موروثات لغوية بيئية معرفية تاريخية أسطورية!

ينقل «نصر أبو زيد» هذه النظرية ، ليقوم بنفس الغاية التي توصل إليها هؤلاء الملاحدة مع الكتب اليهودية والمسيحية الغرلابية المتأثرة بالغنوصية.

يقول عن وعيه الجديد إنه: «وعي ينقل الثقافة، كما نقل المواطن من حالة إلى حالة، ومن مرحلة «الوعي الديني الغيبي الأسطوري» إلى مرحلة «الوعي العلمي».

وهو هنا يعطي للنظرية المادية التي تنكر اللّه سبحانه وتعالى وترفض الوحي، يعطيها صفة «العلمية» و «الهيمنة»! ويريد أن ينقل الثقافة الإسلامية والحقائق الإسلامية إلى حالة أخرى مغايرة لها تمامًا ، حالة الوعي الماركسي والفرويدي والذي أدى في عالم الغرب إلى فصل الإنسان عن ربه وخالقه ومبدعه في نفس الوقت الذي أنزله إلى مرتبة الحيوان [دارون].

إن هذا الوعي العلمي المتطرف في حكمه على الدين أدى إلى خلل كبير: «إن التصور الغربي للإنسان يشتمل على خلل أساسيين: الخلل الأول هو اعتبار أن الإنسان هو ذلك الحيوان الداروينى المتطور، الذي قدمته نظرية دارون في القرن الماضي، وما تزال تغذيه في كثير من مجالات الدراسة، والدراسات الاجتماعية بصفة خاصة، والخلل الثاني هو دراسة الإنسان بمعزل عن خالقه الذي أنشأه وأخرجه إلى الوجود».

البحث عن ابن ورّاق

ابن ورّاق الذي يوصف في الغرب بالمفكر، الذي يكتب بهذا الاسم المستعار، ويعتبر نفسه كاتباً وناقداً. وهو مسلم المولد كما يدّعي، لكن ثقافته تدل على أنه مسيحي لبناني حسب رأينا. وقام بانتقاد الإسلام بشدة في كتابه العنيف بعنوان "**لماذا لا أكون مسلماً**". كما أن النقد الهدام "من الداخل" يمكن أن يكون مبالغاً فيه وغير عادل، إلا أن المبالغة لها مسوغاتها لأنها عبارة عن ردة فعل على الحميّة.

إنه كاتب قبيح ملحد ينشر كتاباً مليئاً بالمغالطات والسفه والتطاول على الدين الإسلامي بعنوان "**لماذا لا أكون مسلماً**"؟ يدعو فيه الغرب لبدء حرب باردة ضد الإسلام ستستغرق أكثر من 100 عام، ولكنها يجب أن تبدأ على حد قوله من الآن.

ومن تحديده رقم المئة عام نكتشف سذاجته وقصر نظره. فكلّ المؤشرات في الغرب تدل بوضوح على أن الأزمة متسارعة ولن تطول نتائجها، فالغرب في طريقه للأسلمة العاجلة والتي ستكون محسومة خلال عقد واحد من الزمن فحسب.

وفي حوار معه لمجلة دير شبيجل الألمانية الواسعة الانتشار نرى الكثير من المغالطات والتطاول على الدين الإسلامي ودعوة واضحة لشن حرب ضده، وننقل فيما يلي بعض ماجاء في الحوار:

لماذا استخدمت اسماً مستعاراً 'ابن وراق'؟

يجيب:

هناك العديد من الأسباب فقد بدأت عام 1993 في تأليف كتاب 'لماذا لا أكون مسلماً. وظهر عام 1995 وكنت أستاذاً للأدب الإنجليزي والأمريكي في جامعة تولوز وكنت أخشى أن أتحول لسلمان رشدي الثاني فلا أريد أن أموت، وكنت أسعى لحماية أسرتي وحتى الآن لا يعلم أحد حتى أسرتي أنني مؤلف الكتاب ولا أريد أن يعانوا بسببي.

وهل هناك سبب محدد لتأليف هذا الكتاب؟

يجيب: السبب هو قضية سلمان رشدي وأنا صعقت من رد فعل الغرب فلم يكن قادراً علي حماية ثمار الحرية فقد كان ضحية وليس جانياً.

سؤال: رشدي ولد مسلماً وأنت أيضاً أليس كذلك؟

أنا ملحد الآن ولكنني لا أستطيع أن أنكر أصلي المسلم فأنتم تعرفون النكتة القديمة حينما وقف بطرس على حافة السماء وسأل من يريد أن يتطهر وما هي ديانته فيرد أحدهم أنا ملحد فيرد بطرس أنا أعرف فكلنا ملحدون ولكن هل أنت ملحد مسيحي أو ملحد يهودي أو ملحد مسلم وأنا أقول إنني ملحد مسلم.

ألا تهتم بمسألة العقيدة؟

نعم فمنذ الصغر كنت أعاني من مشكلة هوية فبدأت تعلم العربية وقراءة القرآن وكنت متشككاً دائماً وبعدها اعتقدت أنني سأكون مسلماً ولكن ازداد شكي وتحولت للفلسفة.

عنوان الكتاب يشبه كتاب برنارد روسل 'لماذا لا أكون مسيحياً ألم تنتحل العنوان منه..؟

هذا صحيح فقد استعرت الاسم منه ولكن روسل كتب سيرة ذاتية، أما كتابي فهو عبارة عن تدريب فكري .

ذكرت أننا نحتاج لشن حرب باردة ضد الإسلام فهل تريد ذلك حقاً؟

نعم أعني ذلك حقاً ولن نستطيع أن نكسب الحرب الساخنة ضد الإسلام أبداً حتي لو استطعنا القضاء على تنظيم القاعدة فسوف يولد مسلمون جدد لذلك يجب أن توجه حربنا ضد الأفكار والقانون الفكري الإسلامي ونستطيع أن نتعلم من التجربة السابقة ضد الشيوعية بالنظر للمنبع الإسلامي وهو الأصل القرآني.

لماذا تصفها بالحرب الباردة؟ ..ولماذا لا تقول ببساطة 'تنوير أو تثقيف'؟

لأنها حرب يجب أن تدار على أكثر من جبهة فهي تتعلق بالأمن القومي والتربية والثقافة والأمر يتعلق بحماية حقوق غير المسلمين في المجتمعات المسلمة مثل المسيحيين في باكستان واليهود في إيران لأنه متى وجد مجتمع مسلم يعي حقوق الأديان الأخرى سيوجد مجتمع على طريق العلمانية.

(نلاحظ دفاعه عن المسيحية واليهودية كأديان، وهذا دليل كذبه في اعتبار نفسه ملحداً. فهو مأمور من سادته بأن يدافع عن اليهودية والمسيحية، وسيحصل على الأجر لقاء ذلك. لكنّ همّه الأول ينصب في انتقاده للإسلام فحسب، ومن النكتة التي أطلقها في بداية الحوار نكتشف ثقافته المسيحية الغربية، فلماذا لا يتحدث بثقافة مسلمة موازية، ذلك لأنه مفترٍ على الإسلام.- المؤلف).

ألا تعتقد في الانتقال الأوتوماتيكي بعلمنة الإسلام من خلال التجارة والتكنولوجيا والعولمة؟

لن يحدث بصورة أوتوماتيكية فنحن نحتاج لنظرة موضوعية لمجتمع الإسلام ونصوصه المقدسة.

وهل سيكون هناك حقاً إسلام جديد معاد الصياغة؟

الأمر لا يتعلق بإصلاحات أو تفسيرات جديدة للقرآن فحينما يذكر في إحدى السور أن الرجل يسمح له بضرب زوجته فلا يوجد ما نفسره، وبعض المسلمات يتظاهرن بالقدرة على فهم ذلك ولكن هذا غير حقيقي.

(نلاحظ تكرار اللهجة والأسلوب عند كافة الذين ينتقدون الإسلام، فكلهم يتحدثون عما يسمونه ظلم تتعرض له المرأة المسلمة، وهذا النمط الواحد المتكرر عند المرتدين يدلّ على أنهم ينهلون من مدرسة واحدة إذا صح التعبير وهي الصهيونية المعادية للإسلام التي توجههم حتى فيما يخص المواضيع التي يتكلمون

بها).

وماذا تقترح؟

يجب أن ننظر للقرآن على أنه وثيقة تتعامل مع عقل الإنسان صحيح هناك اعتقاد أن القرآن منزل من السماء إلا أنه دون بواسطة البشر ومثل أي نص كتبه البشر فيمكن نقده والشك فيه وطرح أسئلة مثل تحت أي ظروف دون وما هي إرهاصاته وبالنظر لكونه من تدوين البشر وليس كلام اللّه يمكن تفسيره. وإنّ الكثير من المسيحيين واليهود الإصلاحيين يشكون في كون إبراهيم عاش حقيقة.

(نلاحظ مرة أخرى لجوءه للمعلومة الغربية مسيحية ويهودية، ويقيم عليها رأيه بما يخص القرآن الكريم).

وماذا سيتبقى من ثقافة المسلمين؟

ستكون هناك فرصة خاصة بين المؤمنين وربهم فلدينا في المجتمعات المسلمة فصل بين الدين والدولة وفي السياسة يجب على المرء أن يجادل ويتفاوض ويصل لحلول وسطى، أما في دولة دينية فذلك غير ممكن فلن يستطيع الإنسان أن يغش مع اللّه ولن أعيش لأرى نهاية الحرب الباردة المطلوب شنها ضد الإسلام فالحرب ضد الشيوعية استغرقت 100 سنة وأكثر ولكن حربنا يجب أن تبدأ.

(البدء بالحرب على الإسلام: هذا شعار الأحزاب المتطرفة في الغرب كله، وهي تخشى أن يستبق الإسلام الغرب وتتحول أوروبا إلى إسلامية، ولذلك رغبت ببدء الحرب على المسلمين. ومنها استقى ابن وراق هذا الرأي ليكون مرضياً عنه في أحضان الغرب).

أنت لا تفرق بين الإسلام والأسلمة مثلما يحدث في أوروبا؟.

لا أفرق فعلاً وهذه التفرقة خاطئة فالإسلام ليس ديناً مسالماً ولكن يوجد الكثير من المسلمين والمسالمين فالإسلام ليس ما يجب أن يفعله المسلمون بل ما يفعلونه بالفعل وهناك ثلاث طبقات من الإسلام ..القرآن وتفسير العلماء والممارسة الفعلية، وهذه غالباً ما تكون أكثر ليبرالية وتسامحاً من النصوص التي تصلنا فمثلاً قضية المثلية الجنسية فستعود فيها للتفسير الحرفي وهذا له أسباب كثيرة منها تخلف المسلمين ثقافياً واقتصادياً وسياسياً، فهم لا يستطيعون التعامل مع العالم ويتساءلون لماذا والإجابة لأن اللّه يجدهم أشراراً وحينما يكونون مسلمين

بحق سيعود حب الله لهم.

(قوله: يعود حبّ الله لهم هو خطاب مسيحي وليس إسلامي، ولذلك نرجّح بأن ابن وراق هو مسيحي عربي لم يجرؤ على ذكر اسمه، فكان أقل وقاحة من المسلمين المرتدين. أما دفاعه عن المثلية الجنسية فذلك يعطينا صورة عن ضحالة مستواه وثقافته)

ولكن هذا لن يحدث أي تقدم لديهم.

بالفعل إلا أنني أرى تسلحاً متزايداً للمسلمين وقدرة على التهدئة مع الغرب. وهناك زحف بطيء للشريعة ففي إنجلترا سيسن قانون حماية حرية المشاعر الدينية، ومن خلاله سيصبح نقد الإسلام غير ممكن. (نلاحظ بأنه حريص على أن ينتقد الإسلام أكثر من الغربيين أنفسهم، ويخشى أن يصدر قانون الحماية للمسلمين أكثر مما يخشاه أبناء الغرب الآخرين، وبذا يصبح ابن ورّاق أشد حقداً ويعبّر بوضوح عن خشية الغرب من أسلمة أوروبا، وعن الحرب الاستباقية التي شنّها الغرب على الإسلام).

وأخيراً يدعو ابن أبيه هذا لطرد المسلمين من الغرب، أو بردتهم عن دينهم، ويرحب بما فعله رئيس الوزراء الأسترالي هوارد حيث وجه حديثه للمسلمين في أستراليا قائلاً: " **إن من يعيش هناك يجب أن يسير على قوانين أستراليا، ومن يريد أن يعيش بتعاليم الشريعة الإسلامية فعليه أن يغادر البلاد** " ويتمنى ابن ورّاق أن يتّبع الغرب ما قاله هوارد.

نقد المسيحية الغربية ونقد الإسلام

ليس في المسيحية الغربية أيقونات ثابتة يحرّم نقاشها أو تعديلها كما هي الحال في الإسلام. فعندنا محرمات ثابتة وحلال ثابت، وعندنا تتمثّل العلاقة مباشرة بين الفرد وربّه. لكن الغرب يعدّل في المسيحية كلما شاء، ويغفر القسيس أو الخوري لمرتكب المحرمات، ومن هنا كان النقد في المسيحية جائزاً وممكناً، بل إنه يؤدي إلى تبديل وظائف المسيحية وعقائدها وأدوارها. وقد حصل هذا على

مراحل، وأدى انتقاد المسيحية في القرون الوسطى إلى إجراء تغييرات كبيرة فيها.

تزداد الأمور تعقيداً إذا قام أفراد الأغلبية المثقفة بالاعتداء على ديانة أتباعها أقلية. وبالطبع لا يمكن أن تتمتع ديانة إحدى الأقليات بقدسية متناهية في مجتمع غير مجتمعها. إن النقد يتوقف دائماً على التعبير اللفظي وسياق الموضوع. وليس ثمة مقياس معين لجميع الحالات، وليست هناك حدود واضحة وفاصلة بينها. لنأخذ المسيحية على سبيل المثال، إذ كان كل شيء مهما صغر أو كبر في مفردات الحياة اليومية يخضع للرقابة الكاثوليكية وكان الكرادلة يباركون كل عمل عسكري، حيث كان ينظر إلى نقد بسيط على أنه كبيرة. أما اليوم حيث أضحت المسيحية في أوروبا ضعيفة الليبرالية وأصبح المسيحيون المؤمنون يشعرون بأنهم أقلية ضئيلة جداً، فقد أضحى لا جدوى من السخرية ولا معنى لها، بل إن المسيحية الغربية اعتادت منذ قرون على تقبّل ذلك النقد الذي لم يكن شيئاً ليوقفه. وإن ذلك النقد الموجه للمسيحية الغربية استطاع عبر العصور أن يؤثّر على شرائعها ونفوذها ومساحة انتشارها. فنتج عنه تراجع مسيحي حقيقي في الغرب وولوج التشريع اليهودي إلى داخله.

يخطئ الغربيون عندما يعتقدون بأن النقد الموجه للإسلام يشبه النقد الذي وجه من قبل للمسيحية، فكان لذلك القديم تأثير على المسيحية ولن يكون لهذا الجديد أي تأثير على الإسلام.

لقد وجه النقد لمسيحية العصور الوسطى الغربية لأن تلك لم تعد في حينها عقيدة ولا شرائع ولا ديانة بل أصبحت آنذاك سلطات مرتزقة ملحدة وبابوية تعبد الشيطان. وتبيع صكوك الغفران وتقتل وتحرق المؤمنين بالمسيحية أنفسهم.

إن بنية المسيحية تختلف تماماً عن بنية الإسلام، لكنّ الغرب لا يدرك ذلك، ويطالبنا بوقاحة وبتصميم بأن نغيّر تعاليم الإسلام. إنهم لا يدركون استحالة ذلك، بل يعتقدون أن ذلك الأمر ممكن وجائز وبسيط. في المسيحية الغربية تقوم البابوية بتغيير ما تشاء وتعديل المسارات والطروحات والشرائع، فحديثاً وفي العاشر من آذار

2008 قامت الفاتيكان بتغيير مصطلحات الخطايا السبع، وأحدثتها وجعلت مفاهيم جديدة أخرى تحل محلها. فامتلكت خطايا جديدة وتم نسيان الخطايا القديمة التي كانت قبل يوم من ذلك التاريخ محرمات، فصنعت محرمات جديدة. بالمقابل فإن الإسلام يحوي محرمات ثابتة لا يمكن تغييرها أو مناقشتها على الإطلاق. لكن العقل الغربي لا يدرك معنى الإسلام. ولعلّ غليان المشكلة الإسلامية في الغرب سيؤدي إلى طرح مسائل كثيرة ومناقشتها ومع مرور الزمن سيصبحون قادرين على فهم الإسلام، وذلك سيؤدي إلى دخول الكثير منهم في الدين الحنيف.

الخطايا السبع في المسيحية

مناقشة وتعديل

من المعروف بأن الخطايا السبع كان قد وضعها أحد فلاسفة اليونان، وكان قد صنف ثماني خطايا مازالت تدرّس باسمه، وخلال تأثّر المسيحية بتلك الفلسفة بعدما اعتنقها اليونان تبنت المسيحية سبع من هذه الخطايا وجعلتها قواعد لها. والخطايا كأن نقول في الإسلام محرمات. وهي: الشراهة – الجشع – الشهوة – الغرور – الكسل - الحسد – الغضب . وفي العاشر من آذار 2008 أعلنت البابوية الفاتيكانية بأنها تغير هذه الخطايا وتتخذ خطايا جديدة تناسب العصر الذي نعيشه ومشاكل هذا العصر. ويهمنا هنا أن المسيحية الغربية أصبحت ديانة بشرية لاعلاقة للإله فيها، أي يمكن للبشر بموجبها أن يضعوا محرمات ومحلّلات كما يريدون. وهذا مستحيل الحدوث في الإسلام.

لماذا غيرت الفاتيكان الخطايا؟

في شباط 2008 أعلن رئيس الأساقفة الأنغليكان **روان ويليامز** عن ضرورة تبني بريطانيا لشرائع إسلامية وجعلها أحكاماً دينية وقانونية، وأحدثت تصريحاته البطولية استنكاراً مسيحياً شديداً. كان يقصد بلا شك بأن المسيحية بقالبها الغربي الراهن لا تكفي لوضع تشريعات أخلاقية مثمرة ومفيدة. ولا شك بأن الفاتيكان قد انشغلوا بمناقشة ثورة **ويليامز** هذه وأنهم قارنوا الإسلام وشرائعه مع فحوى المسيحية التي هم عليها، واكتشفوا بأن المسلمين يناقشون بحيوية قضايا حديثة وطارئة مثل الإجهاض وأطفال الأنابيب والاستنساخ، ويجدون أحكاماً لها في الشريعة الإسلامية. ولهذه الأسباب التي تهدف لمجاراة الإسلام في طرق تعامله مع القضايا الجديدة، وفي مرونة شرائعه وحيويته، قامت البابوية بتعديل الخطايا السبع التي مرّ على تبنيها كنسياً قرابة ألفي عام.

وجدت البابوية نفسها غريبة في الغرب نفسه، وبعيدة عما يريده الغربي، وهي تعاني من هجرة الغربي للكنيسة واختياره للإسلام، فكان لزاماً عليها أن تطور

بعض معتقداتها لتكون مقبولة قدر المستطاع لدى الغربي. ورغم المساعي الكثيرة العبثية التي تقوم بها الكنيسة لمنع أسلمة أوروبا، فإن هذه الخطوة تشكّل إحدى الخطوات الجدية المفروضة عليها في طريق أسلمة أوروبا.

جاءت هذه الخطوة البابوية كردّ شديد كما تعتقد البابوية على روان ويليامز، لكنه في حقيقته رد قبول وانصياع واعتراف بالتقصير التشريعي المسيحي.

والعقل الغربي يعتقد بأن المسلمين يستطيعون أن يعدّلوا في شرائعهم كما هي الحال عند المسيحية الغربية، ولذلك يأتي الضغط متتالياً ومتتابعاً وفي ازدياد بغية تحقيق تغيير ما كما يعتقدون. فقد كنا في مشكلة مع الرسوم التي ظهرت ذات يوم، وصرنا في أحداث يومية كبيرة تسيء للإسلام. ويصرّح الغربيون بأنهم يريدون من تلك التعديات أن يصنعوا مسلمين جدد وعقائد جديدة تتماشى مع الغرب وقيمه وأخلاقه. لذلك يسألون المسلم عن رأيه وموقفه من الشذوذ الجنسي، ويمارسون ضغوطاً على الأسر والمدارس الإسلامية بهدف تغيير العقائد والسلوكيات عند المسلمين. إنهم يجهلون الإسلام، ولذلك فلن يحققوا شيئاً من غاياتهم.

فلم seven

يسمح الغرب بمناقشة الشرائع المسيحية وانتقاضها، ولذلك فهم يعتقدون إمكانية انتقاد الشرائع الإسلامية، ولهذا تصدر عنهم فنون ورسوم تنتقد الإسلام. نتعرف هنا على فلم ينتقد الخطايا السبع بأسلوب إجرامي قذر.

للوهلة الأولى قد لا نجد أي فرق بين صراع الدوافع و(دوافع الصراع) **فلم (seven)- إخراج دافيد فينشر** 1995 يجيب على هذا السؤال- وهو المعبر عن حال الواقع الأمريكي المعاصر، من خلال تراثها الفكري في العقيدة الكاثوليكية المسيحية.

جون دو يناصر رغبته في معاقبة المجتمع بسبع عينات رئيسية من الخطايا لسبع ضحايا (مخطئين) منتخبين، تمثل كل ضحية خطيئة من الخطايا السبع في سبعة أيام تعبيراً عن الخطايا السبع عند الكاثوليك، فهو مهووس ديني يعتقد أنه مكلف من العناية الالهية بدعوة البشر الى التطهر من خطاياهم، إذ يقتل جون دو رجلاً بديناً بإجباره على تناول طعام وبكميات كثيرة حتى الموت ليكتب في موقع

الجريمة كلمة (**الشراهة**) ثم يقتل محامياً يهودياً بإجباره على اقتطاع رطل لحم من جسده إيماناً **بالجشع** ، ثم يقتل رجلاً كان قد أوثقه منذ سنة في سريره دون طعام أو ماء ايمانا بالكسل)، ثم جريمة (**الشهوة**)، بعدها يقوم جون دو السفاح بارتكاب جريمة (**الغرور**) حيث ينتخب إحدى الجميلات ليشوه لها وجهها بالكامل ويقتطع أنفها، وهنا يصل الفلم إلى ذروته في الربع الأخير، حيث نرى **جون دو** يسلم نفسه إلى المحقق ميلز، ويطلب منه أن يصاحبه والمحقق سومرست إلى مكان ما في السابعة مساء ليكشف لهم عن الجريمتين الأخيرتين، وعلى قارعة الطريق في منطقة خالية يأتي أحدهم بصندوق، بناء على اتفاق مسبق مع جون دو، ويكتشف سومرست، داخل الصندوق رأس تراسي زوجة ميلز، ويقول جون دو لميلز أنه يحسده لذلك قتل زوجته، مرتكباً بذلك الخطيئة السادسة (**الحسد**) لندخل معه في جدلية بدأها بانتخابه من قبل قوى عليا (**العناية الإلهية**) لإصلاح مفاسد المجتمع لينتهي معنا بنفي صفة معصومية الخطأ عن نفسه، وإنه بذلك يدفع ميلز إلى الانتقام منه بقتله حتى تكتمل الخطايا السبع (**بالغضب**).

زمن النقد التنويري

عندما رسم جورج جروش إبان الحرب العالمية الأولى المسيح مصلوباً وهو يلبس قناعاً واقياً من الغاز، وقف أمام القضاء بتهمة سب الآلهه، كان ذلك نقداً شجاعاً للكنيسة الغربية التي انحدرت عن المسيحية وتهودت. وإذا قامت مغنية البوب الأمريكية مادونا في وقتنا هذا بالتسلق على الصليب أثناء إحدى الحفلات الموسيقية فتلك خطوة مبرمجة في هذه الحفلة، وتقف وراءها جماعات الصهيونية المسيحية المتعددة المذاهب في الولايات المتحدة. بل والمسيحية نفسها التي تهودت ولم تعد تعر للقيم الدينية أهمية تذكر وقد تمت تربية الغربي بحيث لا يتأثر ولا ينفعل تجاه تلك الإساءات، أي تم إخراجه من المسيحية بكليتها ووضعه في عالم مادي إلحادي خال من المعنى والأمل. فالغرب لا يحمل اليوم من المسيحية سوى الاسم وحده. وأتباع المسيحية العربية المؤمنون الأتقياء يعرفون هذه المصيبة، بل ويحاول القساوسة العرب إفهام الغرب معنى المسيحية الذي يعتقدون به، لكن بلا جدوى ولا نتائج مطلقاً.

ونسمع كثيراً من الأساقفة العرب انتقادات ومعاناة وشكاوى من عقائد وتصرفات نظرائهم الغربيين. فالقس السيد شفيق أبو زيد تحدث مطولاً عن ذلك في حوارات تلفزيونية، وهو يشغل منصب زعيم القساوسة اللبنانيين في بريطانيا.

الإسلام ليس كالمسيحية

يجب أن يعمل المسلمون جاهدون على ترسيخ فكرة عند الجانب الغربي كله، وهي القائلة بأن **الإسلام ليس كالمسيحية الغربية في شيء**. ولا ينطبق عليه ما ينطبق على المسيحية الغربية. وهو لا يقبل أن تجرى عليه التجارب والتحولات التي جرت على المسيحية الغربية. ونحن في بحثنا هذا نستخدم دوماً مصطلح المسيحية الغربية لاعتقادنا بأنها عقيدة تختلف جذرياً عن عقائد المذاهب المسيحية العربية.

إن ما تم التعارف عليه كـ"نقد ديني" في تاريخ الفكر الغربي لم يُفهم على أنه ضربة ضد ديانة معينة ولكن كـ"نقد للوعي الديني"، كما وصفه الفيلسوف **كونراد باول ليسمان**. بينما الغرب اليوم بإساءته للإسلام لا يقوم بأعمال النقد بل بالإساءة المتعمدة والمغرضة التي لا يمكن تصنيفها تحت أي نوع من النقد أو الإصلاح.

نعتبر التصوير الجصي لجوفاني دي مودينا "النبي في الجحيم" (الشيطان يجر النبي محمد إلى الهاوية) تعبيراً عن عقلية الذين اشتركوا في الحروب الصليبية. ونقداً لهم. ورغم أن موضوعه المعلن كان محمد المسلم فالتمثال الجصي كان آنذاك عمل فكري موجه للغرب نفسه ومحاولة إصلاحية دينية داخل الغرب نفسه. وبالحقيقة لم يكن المسلمون آنذاك قد علموا بوجود ذلك العمل كله، لأنه لم يكن موجّه لهم أصلاً.

عودة الغرب لثقافة العصور الوسطى

لقد عاد الغربيون بالفعل إلى ثقافة العصور الوسطى، هذه حقيقة يمكننا أن نبني عليها تقييماً لاضمحلال الثقافة الغربية المعاصرة وإفلاسها. ويدل ذلك على تخبّط الغرب كله في هذه السنوات. فعندما سأل توني بلير 2007 عن الحجاب عاد

فوراً إلى العصور الوسطى وقال: (الفولارد من مخلّفات العصور الوسطى). وهو يقصد غطاء الرأس الذي كانت تلبسه نساء الغرب حتى بداية القرن التاسع عشر. وجوابه يعني بأنه يقارن بين الإسلام والمسيحية الغربية ويريد تطبيق ما جرى في الغرب على المسلمين اليوم، وهذه هي السياسة الغربية المتّبعة مع المسلمين ويفهم بأنها وراء أعمال الإساءات المتكررة للإسلام.

عاد الغرب إلى وسائل النقد الديني التي شهدتها العصور الوسطى في أوروبا والتي كان لها تأثير على تغير المفاهيم والعقائد المسيحية في الغرب. فقد جرى عرض مسرحية محمد لفولتير. وأعيد عرض **أوبرا إيدومينو في ألمانيا.**

أوبرا إيدومينو

كانت قد عرضت من قبل وهي للشهير موتزارت. وهي عرض أوبرالي مرعب ومنفّر ومقزز، وأثناء العرض الذي اقتصر على حضور النخبة من السياسيين والصحفيين والمفكرين ارتفعت أصوات احتجاج ونفور واستنكار للمشاهد اللاإنسانية، فعلت أصوات آخرين يردّون على المحتجين بأنه فنّ مقبول.

وقد بحث الألمان في الأوراق القديمة فعثروا على هذا العمل وقاموا بعرضه من جديد لأنه يسيء للإسلام وللرسول محمد عليه السلام. وهذه العودة لنتاج عصر النهضة الأوروبي تدل على الإفلاس الثقافي في العصر الراهن. بل إنه إفلاس ورجعة إلى الوراء. مما يدل على ضعف خصمنا.

مسرحية محمد لفولتير

عمل فولتير المسرحي الذي اتخذ موضوع "محمد عليه السلام" يُفهم على أنه ذا مغزى تنويري للأوروبيين أنفسهم، وكان فولتير يرمز به إلى شخصية المسيح عليه السلام وإلى المسيحية الغربية المتعصبة آنذاك. وكانت المسرحية كلها محاولة فولتيرية لإصلاح المسيحية من الداخل على أسس إسلامية، ومحاولة للاستفادة من الإسلام وشرائعه وتاريخه، ونشر فكره في الغرب الذي كان ضائعاً ومتعثراً آنذاك.

البحث في أعمال فولتير كلها يعطينا نتيجة أنه كان يؤمن بالإسلام. لكن ما عرفه من الإسلام لم يكن كافياً لمنعه من تأليف مسرحية بعنوان محمد. والمسرحية نفسها لا تسيء لأية شخصية إسلامية ولا للرسول الكريم، بل هي تناقش تاريخ ظهور الدعوة ونزول الرسالة. وكان فولتير يرمي من تلك المسرحية إلى هدفين:

1. تعريف الغرب بحقيقة الرسالة الإسلامية وقيم وشرائع الإسلام.
2. نقد المسيحية التي كانت دارجة في العصور الوسطى باعتبارها خرجت كثيراً عن العقيدة الدينية.

ويلجأ المفكرون(إن صحّت تسميتهم) الغربيون المعاصرون إلى وسائل نقدية مستقاة من العصور الوسطى. يقول أحد هؤلاء:

"النقد الديني الذي عرفه الغرب منذ قرون لم ينحصر تأثيره فقط على تحجيم السلطات الدينية واستبداله بسلطة دنيوية وحسب، بل يمتد ليطرح سؤالاً مبدئياً حول تأثير الإيمان على الإنسان خاصة. إنه يغير في الرؤية الدينية للعالم. كما أن هذا النقد يحذر من حالة الهوس التي يمكن أن تسببها الأديان نظراً للشعور بالذنب الذي يتربص بالمؤمنين، ليجعلهم يتصرفون كصبيان يتوهمون أنهم تحت مراقبة الرب القوي".

نلاحظ كيف يستشهد هذا (المفكر الغربي) بفك العصور الوسطى ويريد أن يطبّق النتائج على كافة الأديان ويقصد بها الإسلام، لكنه لم يفهم الإسلام بعد. وإن استمر في البحث والمقارنة فسوف يعرف الإسلام وقد يعتنقه عندئذ.

ذلك النقد القديم كان في الغرب، ويستهدف أبناء الغرب الذين عانوا من هيمنة الكنيسة وسيطرتها على سلوكهم اليومي. ونفس الأمر يظن الغرب أنه يمارسه مع المسلمين بغية تغيير سلوكهم تجاه الدين. لكن الغرب بكل علومه وقدراته ومفكريه وفلاسفته مازال يجهل حقيقة الإسلام وحقيقة أن الإسلام شيء آخر يختلف عن المسيحية الغربية التي تمّ تهويدها. وبعد سنوات قليلة وربما بعد عقود سيدرك الغرب بأنه إنما كان ينفخ في الهواء في مساعيه الرامية لتغيير الشخصية الإسلامية وفي تحييدها عن الدين الحنيف.

معنى العودة لثقافة العصور الوسطى

ومن هذه العودة الغربية إلى نتاج العصور الوسطى نتوصل إلى النتائج التالية:

1. إفلاس فكري غربي في العصر الحديث، فالعودة للثقافة الغربية القديمة دليل على عدم مقدرة المعاصرين على انتاج ثقافة أو نتاج فكري جديد. بل إن الذين أعادوا عرض مسرحية فولتير لم يدركوا بأنه كان ينتقد من خلال تلك المسرحية المسيحية الغربية والسلطة الحاكمة نفسها.
2. الغرب لم يدرك معاني الإسلام ولم يدرك بأنه يختلف عن المسيحية الغربية، وهو يظن بأن وسائل انتقاد المسيحية الغربية في العصور الوسطى ستكون ناجعة في تحقيق تغيير كبير في الإسلام.
3. عودة الغرب إلى نتاج العصور الوسطى وأساليب النقد الديني آنذاك واستخدامها لنقد الإسلام يدل على أنهم **يعتقدون بأننا كمسلمين نتأخر اليوم عن ركب الحضارة الغربية مئات السنين.** وهم يعتمدون بهذا الرأي على دلائل وإشارات وصور يرونها عند المسلمين ويقارنونها بصور من عصورهم الوسطى، ومن هذه الصور نذكر: الحجاب قائم اليوم عند المسلمين وقد منعته أوروبا في بداية القرن التاسع عشر. الشذوذ الجنسي وقبول المثلية كان الغرب يرفض هذه المظاهر منذ قرون عديدة، ثم أحلّتها شرائعه الفلسفية، لكن المسلمين لا يقبلون بها على الإطلاق. لكن اعتقادهم بأننا نتخلّف عنهم قروناً يدل على تخلّفهم هم وعلى عدم مقدرتهم على فهم وإدراك معاني الإسلام وشرائعه العظيمة.
4. العودة لنتاجات النقد القديمة دليل على انشغال الضعاف بنقد الإسلام. وعلى أن العقول الغربية المنتجة في مجالات الفكر والفن والمسرح والإخراج، وهؤلاء المبدعون القادرون على صنع أشياء جديدة لم ينزلوا إلى المستوى الدنيء الذي يجعلهم ينشغلون بانتقاد الإسلام. فهؤلاء لم يوافقوا على الانجرار في تلك الحملات الرخيصة.

هدف النقد الموجه للإسلام

إن النقد الديني لا يريد التحريض ضد الإسلام نفسه كدين بقدر مايسعى لتغيير المسلمين أنفسهم. لكنّ هذا السعي اضطره لانتقاد الإسلام بكليته، فالغرب يسعى لغرض قريب وهو خلق جيل من المسلمين لا يتأثرون بهذا النقد ولا يلتزمون بالإسلام. جيل ينساق مع الغرب ويقبل بكل طروحاته: السياسية والاستعمارية واللاأخلاقية واللادينية واليهودية. إنهم في حالة ذهول من الإسلام والمسلمين إنهم يرون بن لادن في المنام.!.

غيرة الغرب من المسلمين

يمتلك الغرب اليوم غيرة من الإسلام نفسه يمكن تقصيها وتأكيدها من خلال الغيرة الشائعة في الغرب من الشباب المسلم.

فقد أعرب الكثير من مواطني الغرب عن وجود غيرة حقيقية من المسلمين الذين يعيشون بينهم. وقام أحد الباحثين الغربيين بإعداد دراسة ميدانية حول هذه الغيرة فتوصل إلى نتائج مذهلة وأحصى نقاط الغيرة التالية:

1. غيرة الشباب الذكور من المسلمين المهاجرين الذين يتمتعون ببنية قوية وقدرات جنسية تفوق قدرات أبناء الغرب.
2. المسلمين المهاجرين لا يصابون عادة بأمراض جنسية كالإيدز، وهذا يسبب الغيرة منهم.

وماهذه الغيرة في حقيقتها سوى الغيرة من ديانتهم الإسلامية التي تحصّنهم من الشذوذ والعهر والانفلات. ويمكننا إضافة نقاط تسبب هذه الغيرة:

1. الغيرة من نجاح المهاجرين المسلمين في حيازة شهادات عليا وأعمال ووظائف جيدة. وإتقانهم لأعمالهم وتحملهم الضغوط ومشاق العمل.
2. الغيرة من استقرار المسلم وراحته وطمأنينته، وذلك بفضل إيمانه بالله وسماحة عقيدته، فيما الغربي ضائع وتائه في قراره وفكره ولم يحصل

على أي استقرار فكري. ويدرك الغرب بأن الإسلام نفسه هو سبب هذا التفاوت ومن هذه الغيرة اشتد عداؤهم للإسلام نفسه.

3. العرب المهاجرون بطبيعتهم يجمعون ثروات فيما أبناء الغرب لا يكدّسون المال. وهذا يسبب نوعاً من الغيرة.

فلم فتنة

رفعت هولندا حالة التأهب في التاسع من آذار 2007 تحسباً لوقوع هجمات "إرهابية" قبيل عرض فلم فتنة الذي يتهجم على الدين الإسلامي. وتتزامن هذه الخطوة مع استعداد النائب اليميني في البرلمان الهولندي جيرت ويلدرز لنشر فلمه الذي أغضب المسلمين. ويقول ويلدرز إن الفلم يتعرض للقرآن، إلا أنه لم يدل بمزيد من التفاصيل حول فحواه. ويقول ويلدرز إن الفلم الذي تبلغ مدة عرضه 15 دقيقة يحمل عنوان "الفتنة"، وإنه يهدف لإظهار القرآن على أنه "يحض على الإرهاب والقتل وعدم التسامح." وتقول إحدى الصحف الهولندية التي شاهدت مشاهد من الفلم إنه يبدأ بصورة للقرآن، ثم يظهر بعض الفظائع التي وقعت في الدول الإسلامية التي يعتقد ويلدرز أنها كانت بإيحاء مما جاء في القرآن. وكان ويلدرز قد قال في الشهر الماضي إنه يتوقع ان يعرض الفلم في هولندا في شهر مارس آذار، كما سينشر على الإنترنت. ويقول النائب الهولندي إنه مصمم على نشر الفلم رغم الإنذار الذي وجهته إليه الحكومة بأن نشره سيضر بمصالح البلاد الاقتصادية والسياسية. وكان ويلدرز - الذي يتزعم حزباً يمينياً يدعى حزب الحرية - قد دعا في الماضي إلى حظر القرآن مشبهاً إياه بكتاب "كفاحي" لهتلر. ويصف النائب اليميني الحضارة الهولندية بأنها متفوقة على الحضارة الإسلامية التي يصفها بالمتخلفة، ويدعو المهاجرين المسلمين في هولندا إلى الانصهار بالمجتمع الهولندي عن طريق التخلي عما يصفها بالفقرات الفاشية وغير المتسامحة من القرآن. ويذكر أن ويلدرز يتمتع بحماية الشرطة الهولندية منذ مقتل المخرج الهولندي ثيو فان جوخ على يد متشدد إسلامي عام 2004 بعد أن أخرج فلماً آخر معادياً للإسلام.

من هو خيرت فيلدرز

هو رئيس حزب متطرف هولندي ونائب في البرلمان وقد دعا إلى حظر القرآن في بلاده، معتبراً أنه لا مكان لهذا "الكتاب الفاشي" في "دولة قانون".

ففي رسالة مفتوحة نشرتها صحيفة "فولكسكرانت" 8-8-2007 بعنوان "كفى: امنعوا القرآن"، قارن النائب الشعبوي غيرت فيلدرز، رئيس حزب الحرية المصحف بكتاب "ماين كامف" (كفاحي) الذي يتضمن الطروحات القومية الاشتراكية للزعيم النازي أدولف هتلر.

واستشهد بآراء الصحافية الإيطالية أوريانا فالاتشي التي ماتت عام 2006 وكانت تعتبر أن "أبناء الله يستمدون من القرآن كل الأذى الذي يلحقونه بالغرب وبأنفسهم."

ونفى فيلدرز وجود أي اعتدال في الإسلام، مشيراً إلى أن بعض السور القرآنية "تدعو المسلمين إلى إرضاخ (غير المسلمين من يهود ومسيحيين) وملاحقتهم وقتلهم واغتصاب النساء وفرض دولة إسلامية". داعياً إلى منع القرآن حتى داخل المساجد. وكتب متوجهاً إلى زملائه "سئمت الإسلام في هولندا: كفانا مهاجرين مسلمين جددا سئمت الصلوات إلى الله ومحمد في هولندا: كفانا مساجد جديدة. سئمت القرآن في هولندا: احظُروا هذا الكتاب الفاشي."

ووجه فيلدرز هذه الرسالة إلى الصحيفة إثر اعتداء تعرض له رئيس "جمعية المرتدين عن الإسلام في هولندا" إحسان جامعي، بعدما وصف النبيَّ محمداً (ص) بأنه "شخصية مرعبة."

هولندا تدخل بقوة في حرب ضد الإسلام

أثار السياسي اليميني غيرت فليدرز المخاوف الكبيرة في هولندا بسبب عزمه تصوير فلم مسيء للقرآن. وفي الثامن من آذار 2007 رفعت درجة التأهب الأمني في هولندا كلها خشية حدوث اعتداءات أو أعمال شغب بسبب عرض الفلم المسيء للقرآن وللمسلمين في هولندا.

المؤرخ والسياسي الهولندي المعتدل غيرت ماك يرى أن ذلك قد لا يتسبب في موجة غضب في العالم الإسلامي كتلك التي أثارتها الرسوم الكاريكاتورية. ويرى ماك أن التلاعب بالخوف من الإسلام أضحى وسيلة للشعبويين وخطف الأضواء ويقول:

"شغل اليميني الشعبوي غيرت فليدرز هولندا بأكملها طوال سنوات بعد أن أعلن عن عزمه على نشر فلم عن القرآن ناقد للإسلام. وأعتقد أنه لا وجود لهذا الفلم حتى الآن، إلا أن النقاش الدائر سمَّم الأجواء وخلق هالةً من الخوف وشعورًا بأن ثمة خطرًا محدقًا آت من الجانب الإسلامي. وبهذا يكون فليدرز قد حقق هدفه بتعميم شعورٍ بالخوف (فوبيا) من الغرباء."

حذر رئيس الوزراء الهولندي يان بيتر بالكينيندي من نشوب أزمة على غرار أزمة الرسوم الكاريكاتورية.

رد الفعل هذا كان سيئاً للغاية. وكان على بالكين ندة أن يبين أنه ممسك بزمام الأمور. إن نجاح غيرت فليدرز ينم عن ضعف في الرؤية ووهن في القيادة السياسية الهولندية.

انتحاري مجازف

يتحدث الكاتب الهولندي غيرت ماك عن المتطرف فيلدرز ويقول: "إنه شخص غريب الأطوار ولا يشبه الشعبويين اليمينيين المعهودين، بل يستلهم أفكاره من المحافظين الأمريكيين الجدد. ويمثل الإسلام شغله الشاغل، بينما يحمل تعصبّه المناهض للدين ملامح دينية. عندما أفكر به تتبادر إلى ذهني صورة رجل يقف فوق مبنى شاهق، وجمعٌ غفيرٌ يدعوه صارخًا لكي يلقي بنفسه من الأعلى. لقد زج نفسه في موقفٍ حرجٍ من خلال فلمه المزعوم عن القرآن وغدا مُلزَمًا بأن يقدم شيئًا الآن."

ومن وصف ماك الهولندي له يتبين بأن المتطرف فيلدرز رجل انتحاري في تصرفاته المعادية للإسلام ، وأنه يخدم بها السياسة الأمريكية الصهيونية المتطرفة المعادية للمسلمين. كما يتحدث ماك عن الدوافع الجنونية التي يحملها فيلدرز وعن حلمه بالشهرة وبوصول إلى رأس السلطة في هولندا من وراء هجومه العبثي على الإسلام ويقول ماك:

يتاجر بالمخاوف

"لا يمتلك غيرت فليدرز الأهلية لأن يكون شخصية هولندية تاريخية كما يحلم بالرغم من رغبة فليدرز في ذلك . لكنه بعيد كل البعد عن هذه المكانة. فليدرز هو مجرد تاجر نموذجي **يتاجر بالمخاوف**، هو شخص يُعبِّر عن **مخاوف أقلية ما**". ومن الملاحظ بأن كافة الذين انشغلوا بانتقاد الإسلام هم يتاجرون بمخاوف الأقلية من الشعب الغربي، وقد استخدم الناقد ماكهنا عبارة (مخاوف أقلية ما) والتي تفيد بأن الذين يخشون فعلاً من تزايد المدّ الإسلامي في الغرب أو من ارتفاع نسبة التشدد الإسلامي هم أقلية في الغرب. وهؤلاء هم الذين ربطوا إيديولوجياتهم بالصهيونية وبالمسيحية الإنجيلية المتطرفة.

تطرف الإعلام الغربي

ويشير ماك إلى اتجاه الإعلام الهولندي نحو التطرف ضد الإسلام.

ويحمّل هذا الإعلام مسؤولية كبيرة في الحملة المعادية للإسلام. ويشير إلى أنّ الصحف الأكثر تطرفاً توزع مجاناً. وتنشغل بالبحث عن أي خبر يثير ضجة حول الإسلام. ولا شك بأن الممولين لهذه الصحف يتبنون حرباً معادية للإسلام. ونستنتج من ذلك بأن الحملة علينا تقف خلفها جماعات قوية في الغرب، وتقوم بالدعم الكبير لها ، ويقول ماك:

"يتعلق نجاح غيرت فليدرز بشكل كبير بطبيعة وسائل الإعلام عندنا ، حيث تعاني كل الصحف من أزمةٍ عميقةٍ حاليًا ، فلدينا أربع صحف توزَّع مجانًا اليوم وتقرأ على نحو واسع. هذا الأمر يدفع الصحف لتلقّف كل ما يمكن أن يجذب الانتباه، وفليدرز مناسبٌ لأنه يزود الإعلام بمقولات مستفزة كل أسبوعين. هذا الخليط خطير للغاية."

ويتحدث ماك عن تحول ظاهرة انتقاد الإسلام إلى لعبة سياسية حزبية داخلية تحاول الأحزاب المتطرفة بواسطتها الفوز بالمقاعد الانتخابية، ويقول:

"السياسيون الذين يهاجمون الإسلام، من أمثال غيرت فليدرز أو **ريتا فيردونك** يحققون نجاحًا في هولندا. بهذا يمكنهم أن يحشدوا خلفهم قرابة عشرين في المئة

من الناخبين المؤيدين لهم. غدا لدينا الآن كما في بلجيكا وفرنسا والنمسا وألمانيا تجمُّعٌ يميني **متطرِّفٌ** ولا مفر أمامنا سوى الاعتياد على مثل هذا الأمر. الكثير من الناس في المدن الكبيرة كأمستردام وروتردام ولاهاي يشعرون بأن **السياسة خذلتهم**. ونحن ندفع الآن ثمن اعتقادنا على امتداد فترة طويلة أن الأمور ستؤول إلى الأفضل بشكل أو بآخر. السؤال الذي يطرح نفسه اليوم: كيف لنا أن نتعامل مع هذا الوضع."

ويبدو أن الباحث ماك متفائل في المستقبل لأنه يعتبر أن هذه الموجة الانتقادية المعادية للإسلام ماهي إلا مرحلة مؤقتة ومكشوفة للهولنديين وللناخبين، وقريباً ستزول هذه الطفرة العدائية. ومن المعروف في الغرب أن المواطن لايثق بالساسة ولا باللعبة السياسية فتذهب أنظار الجماهير للانشغال بأخبار أخرى كأخبار الفنانين والأحداث الاجتماعية، ويقول الغربي اليوم (السياسة خذلتنا). وبسبب هذا الخذلان انطلق البعض في التحمس لصالح الأحزاب العنصرية والمتطرفة الصغيرة، ولكسب شعبية جماهيرية عريضة فهذه الأحزاب تتاجر بقضية العداء للمسلمين، وتجعل منها أداة ووسيلة للوصول إلى غاياتها.

جمعية المرتدين عن الإسلام

ويشغل إحسان جامعي (22 عاماً)عضوية بلدية فوربورغ بضاحية لاهاي، عن حزب العمل الهولندي. وقد تخلى عن الإسلام بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية، مستنتجاً أنه "لا يمكن أبداً أن يكون هذا ديني"، كما قال. وفي العام 2007 قام بتأسيس جمعية دعاها بجمعية المرتدين عن الإسلام.

فقد تعرض رئيس الجمعية هذا لاعتداء في هولندا" إحسان جامعي، بعدما وصف النبيَّ محمداً (ص) بأنه "شخصية مرعبة".

بعدها، بادر مع زميلته **ليلي برادة**، وهي مسلمة سابقة وناشطة في الحزب الليبرالي الفي في دي، إلى تأسيس "جمعية المرتدين عن الإسلام في هولندا"، بدعم من اثنين من نقّاد الإسلام المعروفين بهولندا، وهما رجل القانون **أفشين إليان** والفيلسوف **بول كليتور**.

ولم ينضم للجمعية سوى عدد قليل جداً من الأشخاص، فيما تقوم جماعات متطرفة يمينية بدعم هذه الجمعية والإثناء على أعضائها الذين لا يزيد عددهم عن الاثنين، وتقوم الأحزاب المتطرفة بتمويل مشاريع إعلامية لهم كإنشاء موقع على الشبكة العالمية ومطبوعة سيتم توزيعها مجاناً في هولندا.

مؤسسا اللجنة المركزية للمسلمين السابقين يقولان: إنهما يرغبان في كسر تابو التحول والتخلي عن الدين.

رافق الشاب إحسان جامعي والديه إلى هولندا قبل 12سنة مضت، وهو من أصل إيراني وكان يتبع المذهب الأحمدي المقرب من بريطانيا. وانتمى إلى حزب العمل الهولندي المتطرف، ومن الملاحظ أن المهاجرين العرب غالباً ماينتمون إلى أحزاب متطرفة وضعيفة في أوروبا فهي وحدها التي تقبل بهم نظراً لحاجتها لزيادة الأعضاء، وبالطبع فإن انتماءه الحبي فرض عليه أن يكون مسخّراً في إنشاء مشاريع إعلامية تخدم سياسة هذا الحزب، الأمر الذي فرض عليه تأسيس جماعة المرتدين عن الإسلام في هولندا. ثم أصبح عضواً بالمجلس البلدي ببلدية ليدرسخيندا- فوربرخ، عن حزب العمل.

والدا جامعي شخصان ليبراليان، لذلك فلم ينزعجا من قرار جامعي، غير أن أقرانه المسلمين في المدرسة رفضوا ذلك بتاتاً وقالوا: " لقد أسأت إلى الدين كثيرا". وجاءت مبادرته الحمقاء بالاتفاق مع لبنى برادة 31 عاماً، زميلته المسلمة السابقة والنشيطة في الحزب الليبرالي الفي في دي vvd، في تأسيس اللجنة المركزية للمسلمين السابقين. يدعم المؤسسين ويوجههما اثنان من نقاد الإسلام المعروفين وهما رجل القانون أفشين إليان والفيلسوف بول كليتور.

ولبنى برادة هي من أتباع المذهب البهائي المعروف بموالاته لليهودية. وقد دعمها حزب vvd الذي تنتمي إليه في إعلان الردة والمشاركة في تأسيس الجمعية. وهي تقول: "ما عاد كثير من المسلمين يمارسون طقوسهم الدينية، ولكن التخلي عن الدين أمر حساس للغاية. نود ألا يُهدد من يتخلى عن الإسلام مباشرة بالقتل." يريد المؤسسان اقتحام المحظور، وإمكانية الحديث عن التخلي عن الدين داخل المجتمعات الإسلامية، كما يريدان من الحكومة الهولندية أن توضح على أساس

الحق الدستوري في حرية الدين أنه حق للمسلمين السابقين أيضاً. السياسيين الهولنديين أنفسهم يترددون في طرح المسألة، خشية من الاستفزاز والوصم . ويرى جامعي أنه يجب على الحكومة الهولندية وعبر إرشادات تُقدم في المدارس والمساجد والبرامج الإذاعية الحكومية أن توعي المسلمين بحقهم في حرية الدين. ويقول "لا نرغب بذلك في أن يتخلى جميع المسلمين عن دينهم، لكن نتوق إلى أن يكون كل واحد حراً في ما يريد."

المجلس القومي للمرتدين عن الإسلام"

أطلقت مينا أحادي منظمة معادية للإسلام تحت اسم المجلس القومي للمرتدين عن الإسلام وقالت الناشطة والمحامية الألمانية من أصل إيراني، إنها ارتدَّت عن الإسلام لأنه يتعارض مع حقوق المرأة، مضيفة أن إطلاقها "المجلس القومي للمرتدين عن الإسلام" إنما هو رد فعل على المنظمات الإسلامية الناشطة في ألمانيا التي تفرض نفسها على المسلمين هناك، على حد تعبيرها، قائلة إن المجلس سيعمل على إنهاء رجم النساء في العالم الإسلامي ووقف بناء المساجد في ألمانيا.

فقد وضعت الشرطة الألمانية حماية خاصة مشددة لها عقب إدعائها بأنها تلقت تهديدات بالقتل بسبب تأسيسها "المجلس الوطني للمرتدين عن الإسلام" وإعلانها أنها ارتدّت عن الإسلام.

المنظمات الإسلامية الألمانية ردّت بحذر وحيادية عليها، فاقتصر الرد المباشر على انتقادات أحادية والأفكار التي طرحتها، مشيرة إلى أن لها الحق والحرية في الرد على النشاط وقول رأيها، ونلاحظ بأن المنظمات الإسلامية تخشى في الغرب أن تقول كلمتها وتترك الأمر لغيرها. وهذا ما حصل فعلاً فقد انتقدتها بشدة برلمانية ألمانية غير مسلمة وصفت أفكار "أحادي" بأنها تزيد من الكراهية للمسلمين في الغرب.

وقالت مينا أحادي، التي تعيش في ألمانيا منذ عام 1996 . إن "أعضاء منظمتها لم يعودوا يؤمنون بالإسلام أبداً، وأن منظمتها جاءت كرد فعل على منظمات المسلمين في ألمانيا، وأنها اتخذت اسماً استفزازياً رداً على المجلس الأعلى للمسلمين، وتعمل للدفاع عن حقوق المرأة وحقوق الإنسان والدعوة للتعايش مع الألمان ."واتهمت

الإسلام وبشكل خاص الإسلام السياسي بأنه ضد المرأة"، قائلة إن "هذا الذي دفعها لترك الإسلام نهائياً، والنشاط من أجل حقوق المرأة على صعيد ألمانيا والعالم الإسلامي، بعد أن تبين لها أن هناك أموراً في الإسلام ضد حقوق الإنسان وحقوق المرأة ولهذا لا تقبل الدول الإسلامية بحقوق الإنسان". وأشارت إلى أهم الأشياء التي تدعو لها منظمتها: الوقوف ضد بناء المساجد في ألمانيا، معارضة ارتداء الحجاب، الدعوة لوقف الرجم وجرائم الشرف في العالم الإسلامي.

وتحدثت عن أن "عضوية المجلس القومي للمرتدين عن الإسلام مفتوحة للنساء والرجال على حد سواء".

وردا على إعلان المجلس القومي للمسلمين في كولونيا عن حقها في النشاط والعمل، تقول: المطلوب منهم أن يقولوا أنهم ضد حجاب الفتيات الصغيرات، وتغيير قواعد الطلاق في الإسلام، والقول إنه لا حاجة لتغطية النساء بالحجاب، وعليهم تنفيذ خطوات عديدة منها أن يغلقوا أبوابهم ولا يأخذوا أموالاً من الحكومة.

وقالت مينا أحادي، التي أعدم زوجها في إيران بعد ثورة الخميني، بسبب مشاركته في تفجيرات وأعمال مسلحة إجرامية ضد الدولة، إن خطوتها القادمة هي" نشاطات عديدة تبين للناس الفرق بين المبادئ الإسلامية والمبادئ الألمانية الديمقراطية ."

وكانت مينا أحادي دعت الحكومة الألمانية، في حديث لإذاعة صوت ألمانيا، إلى "مساعدة النساء والفتيات اللواتي يتعرضن للقمع من قبل الإسلام السياسي ونبذ الفتاة التي تحمل بلا زواج"، مطالبة "بوقف المساجد التي تتحدث باسم كل المجتمع إذ لايمكن لعدة منظمات إسلامية أن تتحدث باسم 3 ملايين ونصف المليون مسلم في ألمانيا." على حدّ زعمها.

المجلس القومي للمسلمين في كولونيا ظلّ معتدلاً بالرد على مينا أحادي وقال رئيسه إنه " يجب التسامح مع هذه المجموعة الجديدة لمينا أحادي رغم السخرية الوقحة لهم من اسم مجلسنا ." وقال رئيس المجلس أيوب كوهلر " رغم ذلك .. هؤلاء لهم الحق في تأسيس جمعية والتعبير عن آرائهم ."إلا أن ليل أغون وهي نائبة غير مسلمة في البرلمان الألماني انتقدت المجلس القومي للمرتدين عن الإسلام، والتي تعمل

على إقامة صلات وثيقة بين الجالية المسلمة والحزب الديمقراطي الاجتماعي أحد الحزبين المشاركين في تحالف المستشارة أنجيلا ميركل. قالت إنني " أرفض الأفكار التي تتحدث عن تعارض بين الإسلام وحقوق الإنسان، وأرى في هذه الادعاءات أنها تزيد من الكراهية للمسلمين في الغرب. وصدور مثل هذا الرد من "ليل أغون" له دلالات كثيرة.

رأي المجلس الإسلامي الهولندي

وهناك مواقف نقدية من هذه الجماعة وأنشطتهم، فرئيس المجلس الإسلامي الهولندي الذي يعيش في الوسط الهولندي نفسه ويدرك أبعاده، عبد الله هازلهوف، ينظر إلى المبادرة على أنها مجازفة سياسية تخدم الأحزاب المتطرفة. ويؤكد بأن المؤسسين يستغلون مشاعر الخوف ويطمحون إلى تحقيق مكاسب سياسية منها. ويؤكد هازلهوف بأن المسلمين المرتدّين الذين يتخلون عن دينهم في هولندا لا يتعرضون لمشاكل تُذكر.

مسلمو الغرب المجاهدون

بالتعرّف على ما يعانيه المسلمون في الغرب من عدائية شديدة بسبب التزامهم بدينهم الإسلامي، وعلى دورهم الكبير في أسلمة أوروبا المنتظرة، فهذا يجعلهم مجاهدين مسلمين حقيقيين.

صحيح أن حملات النقد الموجه للإسلام تسيء لنا وتستهدفنا في الصميم. لكن الغربيين يوجهونها في الدرجة الأولى لمسلمي الغرب. فهم المستهدفون الحقيقيون منها. وهم الذين يريد الغرب مهاجمتهم وإخضاعهم وتبديل عقيدتهم، بل ويسعى لردهم عن الإسلام إن استطاع.

فالغرب يجد نفسه أمام معضلة تهدده تهديداً كبيراً للغاية وهي اتجاه الغربيين نحو الإسلام واعتناقه ورفض المسيحية واليهودية. وإذا استمر تصاعد هذا التيار فإنه سينسف كافة المشاريع الغربية. وسيحوّل أوروبا بكل معانيها إلى إسلامية. أي تصبح أوروبا آنذاك صديقة المسلمين وواحدة منهم، وعدوة الصهيونية

وبعيدة عن سياسة الاستعمار والاستغلال وإبادة الشعوب الضعيفة الخاضعة.

مسلمو الغرب يعانون من كل أنواع التمييز والتكفير والعنصرية. وهم مهددون بالإبادة. وقد التجؤوا إلى التديّن والالتزام بأحكام الدين ولجؤوا إلى الله ليحميهم.

من هي مينا أحادي؟

تشغل عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي العمالي الإيراني. ومعها شيوا محبوبي مسؤولة العلاقات العامة وهي إيرانية أيضاً وكذلك نادية محمود وهي عربية !!! مع الأسف مسؤولة ملف البلدان العربية في الحزب. وعندما سأل الصحفي المؤسِّسة مينا أحادي في مقابلة صحيفة دير شبيغل الألمانية معها: أعلنتم مع 29 من المهاجرين الآخرين من البلدان المسلمة عن تركّكم للإسلام. إن الحملة مشابهة لتلك التي أطلقت في السبعينيات من قبل نساء أعلنَّ على الملأ بأنهن أجرين عمليات إجهاض. ما غرضكم؟ فكان ردّ مينا أحادي: لم أكن مسلمة منذ 30 سنة. أنا أيضاً منتقدة للإسلام في ألمانيا ومنتقدة للطريقة التي تتعامل بها الحكومة الألمانية مع مسألة الإسلام. العديد من المنظمات المسلمة مثل "المجلس المركزي للمسلمين في المانيا" او "مللي كروس" متورطون في السياسة أو التدخل في حياة البشر اليومية. لقد تمت دعوتهم إلى مؤتمر حول الإسلام (تم استضافته من قبل الحكومة في برلين العام الماضي). ولكن هدفهم عدواني إزاء النساء والناس بشكل عام. وإن أكثر الناشطات في هذا المجلس هن من المنتميات إلى الحركات اليسارية ومينا أحادي بالذات وحسب إجابتها تقول: ((لم أكن مسلمة منذ ثلاثين عاماً)) تعترف بأنها تركت الإسلام منذ أن انتمت إلى الحزب الشيوعي العمالي الإيراني عندما كانت في العشرين من العمر وعمرها الآن خمسون عاماً. إنها حملة شرسة على الإسلام وعلى يد أناس حاقدين وجهلة لتصورهم بأن العيب في الإسلام ولكن العيب كل العيب فيهم .. والإسلام هذا الدين الحنيف صامد منذ أكثر ممن 1400 عام

وسيبقى صامداً وإلى الأبد ولم يستطع أياً كان أن يؤثر فيه لأنه دين الحق والعدالة والتسامح والسلام والحمد لله نرى المسلمين يزدادون يوماً بعد يوم هذا بالرغم من محاولة البعض لإظهار الإسلام على أنه دين القتل والتفخيخ والتدمير ولكن هيهات فهذه الأمة الإسلامية العريقة صامدة وإلى الأبد... وعلى الجميع أن يتصدوا لمثل هذه الافكار.

حياة لا تحسد عليها

ولدت مينا في أبهار عام 1956 وتعيش في ألمانيا منذ عام 1996 درست الطب في جامعة تبريز وناضلت ضد حكم الشاه في حزب تودة المعروف. وبعد انتصار الثورة الإسلامية انقلب حزب تودة يقاتل ضد الثورة ويمارس التفجيرات والاغتيالات البشعة. فشاركت في تظاهرات يسارية معادية للإسلام.

أمام منزلها ينتظر شرطي بشكل دائم أمام بابها حيث لا تخطو خطوة من دون مرافقته وحمايته. كل هذه التدابير والإجراءات تبدو شديدة، وكأنها تعيش في سجن دائم.

حين هربت مينا من إيران بسبب تعرضها للاعتقال والجلد لأسباب أخلاقية بعدما أعدم زوجها قررت اللجوء إلى مدينة كولونيا حيث تعيش اليوم، وحيث قامت نهاية شهر (شباط) فبراير بمشاركة 40 امراة بتأسيس المجلس المركزي للنساء المرتدات عن الدين الإسلامي الذي هدفه حسب قولها" إظهار الصورة الحقيقة لوضع المرأة في المجتمعات الإسلامية المتشددة وتظلّم المرأة بناء على الشريعة الإسلامية ."

كما أن المجلس يهدف أيضاً حسب قولها إلى "محاربة السياسة الإسلامية التي تسلكها الحكومات المسلمة وتتمسك بالشريعة كقانون يحرم النساء معظم حقوقهن مهما كان حجمها" على حد تعبيرها .

تقول أحادي إن فكرة تأسيس المجلس تعمقت مع توسع موجة العنف التي اندلعت بعد نشر الصور الكاريكاتورية عن النبي محمد (ص) إضافة إلى الحكم الذي أصدرته قاضية في فرانكفورت قبل فترة بعدم طلاق مغربية مسلمة من زوجها

الذي يضربها مستندة بحكمها إلى القرآن الكريم وقصص اخرى لها علاقة بالشريعة الإسلامية التي كما تقول أحادي إنها تلغي حقوق المرأة بالكامل .

تلقت مينا مساندة كبيرة من النائبة التركية في البرلمان الاتحادي **أكين ديليغوز**، حيث قالت الأخيرة أن المتشددين المتدينين يريدون إسكات النساء، " لكن لن نسدي لهم هذا الصنيع وسوف نواجههم بحجج أقوى من حججهم". وكانت ديليغوز قد طالبت المسلمات اللواتي يعشن في ألمانيا بالتخلي عن الحجاب، وتلقت هي أيضاً رسائل تهديد ومنذ ذلك الحين تلازمها حراسة مشددة . وديليغوز هي عضوة في هذه الجمعية وتساهم في تمويلها.

وتقول أحادي أن الإيمان أو عدم الايمان بأي دين هو مسألة شخصية والتعايش السلمي بين الشعوب والاندماج أمر ممكن عندما يصبح الدين من الأمور التي تتعلق بالشخص نفسه وليس توارثاً عن أهله .

وتعارض فكرة بناء المزيد من المساجد في ألمانيا أو تأسيس روابط إسلامية لأن أهداف معظمها حسب رأيها "تحريض الشباب للمشاركة في حروب المتشددين الإسلاميين وممارسة العنف ضد النساء"، وتتوقع أن تتفجر الأوضاع في ألمانيا بسبب "التعصب الإسلامي" كما حصل في هولندا في خريف عام 2004 عندما قتل المخرج الهولندي تيو فون كوغ. والكلام طبعاً لينا أحادي . وهي تسعى لتلك المواجهة الحادة، وتعتقد بأنها ستكون حينئذ من المدللين لدى الألمان.

في المقابل تعتبر الروابط الإسلامية في ألمانيا كعامل تحريض كبير باعتبار أن الدين الإسلامي لا يسمح بالارتداد عنه وكل مرتد يعاقب بالموت.

كتاب الإسلاموي

صدر عن دار بنغوين في بريطانيا كتاب بعنوان "الإسلاموي" لـ"إد حسين" وهو عضو سابق في حزب التحرير. أثار هذا الكتاب الكثير من ردود الفعل داخل الجالية الإسلامية وخارجها.

في العامين اللذين أعقبا عمليات التفجير الانتحارية الأربع التي استهدفت نظام المواصلات في لندن وأدت إلى مقتل 52 من الأبرياء وجرح 700 شخص آخر، نشرت

تقاريرِ ومقالاتِ وكتب عدةٍ تتناول أوضاع المسلمين البريطانيينِ. لكن لا شيء أثار الغضبَ مثل ذاك الذي أُثاره نشر كتاب "الإسلاموي" لمؤلفه إد حسين، وهو زعيم طلابي وعضو سابق في الحزبِ الإسلامي: حزب التحرير.

هذا الحزب، الذي يَدْعو إلى إعادة الخلافةِ الإسلامية، ممنوعُ في الشرق الأوسطِ وفي بعض البلدانِ الأخرى ومن ضمنها ألمانيا والدنمارك. وفي 2005 كان توني بلير رئيسِ الوزراء البريطاني آنذاك قد خطط لمَنْعه، ولكنه نُصِحَ بعدم القيام بذلك.

إن غلاف كتاب "الإسلاموي"، يُوضّحُ بجلاء نية المُؤلف: "لماذا انضممتُ إلى الإسلام الراديكالي في بريطانيا، وماذا رَأيتُ في داخله ولماذا تَركتُه." إد حسين (واسمه الأول هو إد، اختصاراً لمحمد) هو أول إسلاموي بريطاني سابق يعرض في كتاب طرقَ عَمَلِ المجموعات الإسلاميةِ مِنْ الداخل.

بينما يَرى بَعْض المسلمين، مثل حسين، أن هنالك صلة قوية بين الإيديولوجيا الإسلاموية والإرهابِ مع الإقرار بأنّ الشعور بالظلم والشكوى من السياسة الخارجيةِ يهيّجُ الأمورَ؛ يَرى آخرون أن السياسة الخارجيةَ البريطانيةَ مسؤولة بصورةٍ كليةٍ تقريباً عن الهجماتِ الإرهابية.

تهديد بالقتل

وبين غير المسلمينِ، مُدِحَ كتاب حسين بشكل مسرف مِن قِبل أولئك الكُتّابِ والصحفيين الذين حَذّروا من أخطارِ الإسلامويةِ. أحد هؤلاء هو المذيعُ والصحفي **ميلاني فيليبس**، مُؤلف كتابِ "لندنستان: كَيف تَخْلقُ بريطانيا دولة إرهابية في داخلها " الصادر في 2006.

وبين الجاليةِ الإسلاميةِ البريطانيةِ التي يقرب عددها من مليونين شخصٍ، كَانتَ هناك ردود فعل مُختلفة وفي الأغلب عدائيَة ضد الكتابِ. حيث أُتُّهمَ حسين بتَعزيز أفكار سلبيةٍ شائعةٍ عن المسلمين، وأنه يخدم الإسلاموفوبيين (الذين يشيعون رُهاب الإسلام ويخوّفُون الناس منه)، وأنه يحاول دق إسفين بين اليسارِ البريطاني والمجموعاتِ الإسلاميةِ، وأنه من صنع الحكومةِ البريطانيةِ. ويَقُولُ حسين بأنّه استلمَ تهديدات باستخدام العنف والقتل ضده. ويزعم أيضاً بأنّ

الكتابَ قديمُ لأنه يَتعاملُ مع الإسلامويةِ في بريطانيا في النصف الأوّلِ مِنْ التسعينياتِ ويُخفقُ في الإقْرارْ بالتغييرات التي طرأت على حزب التحرير منذ ذلك الحين.

ويَعتقدُ حسين بأن هناك الآن على الأقل خطين في حزب التحرير، أحدهما معتدل والآخر أكثر راديكالية. لكنه لا يعتقد بأن الحزبَ قد تخلى عن التزامه بإقامة دولة إسلاميةِ قويّة جداً مكرّسة للمجابهةِ العسكريةِ مع الغربِ وإسرائيل.

داخل الشبكة

حسين كاتب يدوّن رحلته الشخصيةَ الطويلةَ بأسلوبِ جذّابِ. لقد ولد حسين في 1975 في الجاليةِ البنغلادشية في منطقةِ تاور هاملتس شرق لندن. انخراطه في النشاطِ السياسيِ الإسلامويِ دفعه الى الصدام مَع والديهِ وجعله يهرب مِنْ البيتِ لفترة من الوقت.

في مدرستِه الثانويةِ الرسميةِ، أعطاًه قسم الدراسات الدينيةَ كتاب غلام ساروار "الإسلام: الاعتقادات والتعاليم " كي يقرأه. كَان هذا مدخله الأول إلى الإسلام السياسيِ وإلى منظمات مثل الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية. في المراحلِ المُخْتَلِفةِ التي مرّ بها في طريقه خلال الإسلامويةِ شغف بكتاباتِ ثلاثة إيديولوجيين راحلين منذ فترة طويلة:

الباكستاني أبو الأعلى المودودي، والمصري سيد قطب - وكتابه "معالم في الطريق" الذي يدْعو فيه إلى الجهاد ضدّ الحُكَّامِ المسلمينِ، **وتقي الدين النبهاني** المولود في حيفا ومؤسس حزب التحرير.

جاء ترك حسين لحزب التحرير بعد أن طُعِنَ مسلمٌ وقُتِلَ طالبٌ مسيحي أسود. رأى حسين أن حزب التحرير قد خَلقَ المناخ الملائم لحدوث مثل تلك الجريمةِ. كما أنه وَقعَ في **حبّ فتاة اسمها الجديد فاي**، وهي طالبة مسلمة زميلة له، وهي التي سلبت عقله ولبّه ووجهته في طريق الصعود السريع وركب الموجة المعادية للإسلام والاستفادة منها. وبعد صدور كتابه وذيوع شهرته تزوجته.

ولعلّ من الأمور الحاسمة في تخلص حسين مِنْ فكرِ حزب التحرير وتوجهه

إلى الخط المعادي للإسلام، هو عمله مَع زوجتِه كمعلّم للغة الإنكليزية في المعهد البريطاني، أولاً في سوريا (حيث لامس الإسلام الروحي) وفي العربية السعودية (حيث الوهابية). وفي 1997 تَحدّى معارضةَ حزب التحرير للنظام البرلماني وذلك بتصويته في الانتخابات وانضمامه إلى حزب العمال الذي وجد فيه نفع سياسي ومالي أكبر.

قراءة في كتاب مرض الإسلام

التونسي عبد الوهاب المؤدب الذي يصف نفسه بالمفكر والأديب أصدر العديد من الكتب المعادية للإسلام ومنها كتابه **مرض الإسلام**. وكتاب **أوهام الإسلام السياسي** وكتاب ***"الخطب المضادة"***، وهو يقول بأنه يبحث عن بعد إغريقي للإسلام. وقد ترجمت كتبه إلى ستة عشر لغة عالمية وخلال سنوات قصيرة، وبسبب إساءته للإسلام أصبح واحداً من أثرياء أوروبا.

أثار كتابه "أوهام الإسلام السياسي" استنكارات ونقاشات حامية في العالم الإسلامي وكذلك أيضاً في أوروبا.

وكتابه الجديد "**الخطب المضادة**"، الذي لم يصدر بعد بالعربية، يحتوي على 115 مقالاً على مواضيع الساعة، مثل اعتداءات مدريد وحظر لبس الحجاب في فرنسا، وأيضا النظرة إلى روائع الأدب العالمي وكرم الضيافة، أو أيضاً "الحرية البدنية".

وهو يقول عن مواضيع كتابه: *"يهمني أن أبين احتمالية وجود إمكانيات لتناول عناصر من التقاليد الإسلامية. هذه العناصر قد تكون نوع من السم المضاد لسم الأصولية الدينية وتخضع لمبدأ الحياة ولا تخضع للخطباء الأصوليين ذوي الأرواح العابسة الساخطة على الحياة."*

الأفكار المطروحة في كتبه تحمل إهانة لكثير من المسلمين. فقد تُرجم كتابه أوهام الإسلام السياسي". إلى ستة عشر لغة، من بينها العربية والتركية.

وهو يقول عنه: *"إن ما يهمني أولاً وأخيراً أن أنتقد ديانتي الإسلام بطريقة مشابهة لما*

فعله نيتشه في عصره مع المسيحية."

ويتحدث عن الأصولية ويقول:

"إن أكبر مشكلة للإسلام تكمن في أن الأصولية تحاول نشر رسالتها في جميع الاتجاهات. إن الإسلام الرسمي الذي يعد آخر صورة للإسلام التقليدي يزداد اليوم تشبعه وتسممه بالأفكار الإسلاموية. وفي هذا كان الإسلام التقليدي منذ القرن التاسع عشر منشغلاً بتطور شيق للغاية. وكان من الملاحظ وجود إرادة تتكيف مع ظروف العصر وتضع خططاً مناسبة للتطوير. أما اليوم فطريقة التفكير هذه في طريقها للزوال، وحتى يمكن التصدي للأصولية وضع الإسلام التقليدي إستراتيجية اعتنقت جزءاً من الرسالة الإسلاموية وأصبح بهذا صَلباً ومتيناً."

إن نقده الموجه إلى المسلمين عموماً، خاصة أولئك الذين ينطلق تأثيرهم من أوروبا – لاذع جداً. وهو يعترف بذلك ويقول بأنه تعمد النقد الجارح. ثم يقول: *" لدي نفور شديد من هذه المجموعات وما يعرضونه، وعندما أراها على أرض أوروبية أقول في نفسي: إنه نوع من الحرية في المجتمعات الديمقراطية. ولكني أحذر في نفس الوقت من تلك الحركات."*

وفي كتابه ينتقد الحجاب الإسلامي ويدعو لمنعه من أوروبا زاعماً بأن التعددية الثقافية الغربية يجب أن لا تكون متاحة للمسلمين وحدهم. ويقول:" *لا بد أن نكون حذرين بخصوص الثقافة التعددية. إنه لفي غاية الأهمية طبعاً أن نتناول في أوروبا الثقافات والقيم الأخرى ونناقشها. إلا أن الثقافة التعددية ليست مكاناً يتصرف فيه الفرد كيفما شاء. إنه لمن الخطأ أن تزول القيم الغربية الأساسية. ويجب علينا أن ننظر بدقة إلى معاني الأشياء الإسلامية. إن الحجاب ما هو إلا رمز ديني. ولكن ماذا يعني هذا الرمز الديني؟ يتعارض هذا الرمز مع قيمي الخاصة فما الداعي إذاً لقبول هذا الرمز؟ يجب أن نمنعه في أوروبا كلها "*

وهو يعارض إدماج المسلمين في أوروبا، ويرى بأن المسلمين لا يمكن أن يندمجوا في المجتمع الغربي لأن الإسلام يبقى في قلوبهم وعقولهم. كما يدعو لمنع تطبيق الشرائع الإسلامية في أوروبا والحدّ من المدّ الإسلامي في الغرب. إنه يقول كلّ ما تريد المؤسسة الصهيونية فعله في الغرب بل هو محارب عنيد لذاته ولهويته،

ألأجل حفنة من المال يتنكر هذا التونسي الأصل لدينه ولأمته؟. وفي كتابه الأخير يرى استحالة إدماج المسلمين ويقول: *" الإسلامويون يمارسون إستراتيجية تكمن في تفادي النظم القانونية الأوروبية. وفي نفس الوقت* ***يحاولون دائماً إدخال القانون الإسلامي في أوروبا. وهذا ما أعتبره من الخطورة*** *بمكان لأن الأمر يتعلق هنا بنظامين لا ينسجمان مع بعضهما البعض على وجه الإطلاق. وإذا استمر هذا الوضع فسنصبح في موقف غاية في الصعوبة والاضطراب،"*

وهو ينصح العالم الإسلامي باقتباس كل شيء من أوروبا ومن منجزاتها **التمدنية** – حسب تعبيره - حتى يخرج من أزمته القوية. ويرى بأن الالتزام والتدين الإسلامي هو عقبة في طريق التمدن ويقول أيضاً: *" الأصولية والاستقامة الدينية تعني في نهاية الأمر بالنسبة لي البحث عن الأشياء الحقيقية، ومن ثم رفض كل ما هو "غريب". وإذا قمتم بإبعاد كل العناصر الغريبة التي تشكل المدنية الإسلامية فلن يبقى منها إلا القليل، لأن جُل المدنية الإسلامية تعتمد على أخذ ونقل العناصر التي تأتي من الخارج."* وهو يدّعي بأن كل عناصر التمدن والتطور بأنواعه التي عرفها المسلمون عبر التاريخ إنما كانت ثمرة احتكاكهم بالآخر وأخذهم المدنية عنه. ويقول:

" إن من ينظر بدقة إلى المسجدين الكبيرين في المدن الإسلامية المقدسة مكة والمدينة فسوف يلاحظ بكل سهولة أن كلا المسجدين مطابقين لمدينة "ديزني لاند" الترفيهية في "انعدام الجمال". يعتبر الأصوليون اليوم أنفسهم معاصرين روحياً للنبي، مع أنهم في الحقيقة متأمركين دون أن يدروا، ووضعهم الروحي أسوأ ما يكون."

إشاعات في هولندا للتحريض ضد الإسلام

"تحكم هولندا حكومة ائتلاف عريض منذ عام 2006. حكومة ائتلاف اليمين السابقة كانت تتبع سياسة قاسية تجاه الأجانب. ولا تزال قوانيننا صارمة جدًا، بيد أن سياسة وزيرة الاندماج، ريتا فيردونك، كانت ببساطة غير إنسانية، حيث عملت سياستها على فصل عائلات كثيرة عن بعضها بعضاً، كما رُحِّلَ

الكثيرون إلى بلادٍ يتهددهم فيها خطرٌ على حياتهم. وقد أدينت هولندا في عهد هذه الوزيرة مرتين أو ثلاث من قبل المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، وهذا ما لم يحدث قط من قبل! فقد انهارت الحكومة السابقة بسبب **ريتا فيردونك**، التي أسست الآن **حزبًا يمينيًا** تحت قيادتها. ولم يعد يسود الآن ذاك الذعر المعنوي الذي حلّ بعد اغتيال كل من بيم فورتون في عام 2002 وثيو فان كوخ في عام 2004. نشر أشخاصٌ من أمثال **ليون دو فينتر** آنذاك انطباعًا بأن المجتمع برمته آخذٌ في الانهيار وأن مئات الآلاف من المسلمين يترصّدون لاغتيال كل مفكرينا. وصوّروا هولندا وكأنها إسرائيل ثانية محاطة بالأعداء من كل الجهات".

المدافعون عن الإسلام في الغرب

الغرب مجتمع منفتح، ولا يمكن أن يسيطر على عقوله قلة من العنصريين المعادين للإسلام. فمثلما نحن ندرك حثالة أولئك الناقدين وضعفهم وتآمرهم ونتنبأ بفشل خططهم. كذلك الغرب يدرك كل هذا، وهناك سياسيون غربيون ونقاد ومفكرون وصحفيون وجماهير تحب الحقيقة وتسعى لها. وقوم بتوبيخ وتحقير الزائفين. ونسبة هؤلاء أكثر بكثير من نسبة الناقدين للإسلام، وهم يقومون باستمرار بالهجوم على الناقدين وبكشف أغراضهم من تلك الحملات. ونلفت انتباه المسلمين إلى هؤلاء العقلانيين الغربيين للتعامل معهم وإقامة حوارات ولقاءات معهم وتعريفهم على أبعاد الموقف الإسلامي من تلك الاعتداءات السافرة. ومن بينهم الكاتب الهولندي غيرت ماك.

أيان هيرسي علي

السياسية الهولندية الصومالية الأصل **أيان هيرسي علي** ساهمت في خلق حالة من الهستيريا في هولندا كلها من خلال ما ساقته من دوافع نقدية هجومية ضد الإسلام، حيث حمّلت الإسلام مسؤولية كل شيء، وجعلت الإسلام هو العدو المتربص بالغرب وبالهولنديين. وهي التي شحنت الشارع الهولندي ضد الإسلام.

واعتبرت أن المانع الذي يعيق اندماج المسلمين في المجتمع الغربي هو الدين الإسلامي نفسه. بيد أن الاندماج بدوره هو شأن سياسي وليس دينياً، ويتطلب المشاركة الاقتصادية والتعليم. وقد احتدم الجدل اليوم من جديد، حيث يتم تناول هذه المسائل بشكل أكبر وأوسع. ومجمل القضية كانت بالمناسبة جدلاً لاهوتيًا بين المثقفين والمفكرين، فالهولنديون مولعون بنقاشات من هذا القبيل، لكن في آخر المطاف ستكون العودة إلى الحلول العملية وستسقط إشاعات المتطرفة الحاقدة أيان هيرسي علي. وقد طردت من هولندا بسبب تأثير تصريحاتها المعادية للإسلام وبسبب تأجيجها للشارع الهولندي، فانتقلت إلى الولايات المتحدة. وهناك وحين لم تجد آذاناً تصغي إليها، راحت تعيد التحرش بهولندا وتطالب بفرض حماية خاصة لها من اعتداءات محتملة من قبل مسلمين انتقاميين. وينظر بعض الداعمين لها في هولندا إلى كتاباتها باعتبارها فعل رومانسي وبطولي، لكن كتاباتها في الحقيقة لن تغيّر شيئًا من الناحية العملية. وكثيرون لم يقرؤوا ما تكتبه بعين ناقدة قط، لا سيما أن ما تفعله الآن لا يمت بطبيعة الحال بأي صلة إلى تحرر المرأة المسلمة.

يقتصر جمهورها على البيض الغربيين وغير المسلمين. ويقول ماك "يوجد في الوقت الحالي مجموعة كبيرة من النساء المتحررات ذات الخلفية المسلمة ويمتلكن المقدرة على التأثير أكثر منها. أما أيان هيرسي علي فلا تلهم سوى أولئك الذين يريدون محاربة الإسلام." ويتحدث المؤرخ **ماك** عن انعدام التأثّر بتصريحاتها ويقول: **"لم ألتقِ بأي امرأة مسلمة حتى الآن، تقول، إن أيان هيرسي علي قد عملت على تنويرها."**

ويتحدث الكاتب الهولندي غيرت ماك ويقول:"عملت أيان هيرسي على خلق حالة من الهستيريا ضد الإسلام في هولندا فحسب"

كيف تحولت من مربية أطفال إلى عضوة بالبرلمان؟

تلك هي نفس التساؤلات التي تحيط بأيان أينما ذهبت. إنها "أيان هيرسي علي" تلك الفتاة السمراء صومالية الأصل، التي تبلغ من العمر 35 عاماً، عدائية

الحس للإسلام فأصبحت مثار للجدل والتساؤل بعدما كانت مجرد طالبة هاربة من بلدها لترتمي في أحضان أوروبا ، وقررت أن تطالب باللجوء السياسي إلي هولندا في ظل المجاعة التي يعاني منها الشعب الصومالي، ولكنها وبعد سنوات قليلة أصبحت عضواً بالمجلس البرلمان الهولندي.

ورغم الانتقال غير المنطقي في حياة أيان، إلا أن البعض أرجع السر في ذلك إلى إعلانها الدائم عداءَها للإسلام، ومحاولتها نشر سمومها العدائية في كل مكان، سواء خلال حديثها الخاوي من الحقائق أو من خلال كتابتها لسيناريوهات أفلام سينمائية والتي راح على يدها المخرج الهولندي" ثيو فان خوج" الذي قتل قبل عامين بسبب إخراجه لفلم الخضوع " الذي أثار مشاعر المسلمين مما دفع أحد الشبان لإهدار دمه، في الوقت الذي فشلت الأيدي النيل من أيان . هذا بالرغم من أصول أيان الإسلامية حيث ولدت بمدينة "مقديشيو" بالصومال، لعائلة مسلمة تنتمي لقبيلة الداردود. وكان والدها "هيرسي ماغان" من زعماء الثوار المعادين للدكتاتور الماركسي الصومالي ـ في ذلك الوقت "محمد زياد بري". وكانت طبيعة اتجاهات والدها السياسية دائماً ما تقذف به إلى السجن، حتى أنها رأته لأول مرة بعد بلوغها السادسة من عمرها.

الانتقال السري

وبعد ذلك بعامين فرت أيان مع أسرتها نظراً لنشوب الحرب الأهلية في الصومال؛ إلى المملكة العربية السعودية، ومنها إلى إثيوبيا، ثم إلى كينيا. ولنيروبي محطة خاصة في حياة أيان، حيث التحقت هناك بمدرسة ثانوية للفتيات المسلمات؛ وكانت أيان صاحبة نشاط بارز بالمدرسة مما رشحها للحصول على جائزة الطالبة المطيعة، وهي من أكبر الجوائز هناك وتعد بمثابة الطالبة المثالية على مستوى مدارس نيروبي.

حجاب وصلاة ودعوة

كان حماسها الخفي لشيء ما يدفعها دائماً للتعرف على الثقافات والمجتمعات الأخرى، وهذا ما دفعها لإتقان عدة لغات منها العربية والسواحيلية والإنجليزية والأمهرية.

ارتبطت أيان في مرحلة المراهقة بمعلمتها الإيرانية الأصل، وأصبحت هي قدوتها في كل شيء وكانت "الأخت عزيزة" كما ينادونها، صاحبة تأثير هائل عليها؛ فتعلمت على يدها كيف تكون مسلمة حقيقية بأن تؤدي الصلوات الخمس يوميًّا، وأن ترتدي الملابس الطويلة.

كانت الأخت عزيزة تصحب فصلها في رحلات خارج المدرسة إلى السفارة الإيرانية؛ حيث تقدم للفتيات المشروبات والفطائر إلى جانب محاضرة إيرانية. وفي الحال قررت أيان ارتداء الحجاب، وأصبحت لها أفكار متعصبة، وتحولت أيان إلى داعية تفرض الحجاب على كل من تعرف خاصة أخواتها، وأخذت تحث الجميع على نيل الشهادة . فرحت والدتها ـ وهي مسلمة سنية مثل معظم الصوماليين الآخرين ـ بتدين ابنتها وفق المذهب الشيعي. في حين استمرت أيان في تمسكها بنهجها الورع، بل والمتعصب من الإسلام.

عقدة الختان

في وقت لاحق عندما وافق والدها على زواجها من قريب لها - لا تكاد تعرفه - يحمل الجنسية الكندية. هذا بالإضافة إلى ذكريات ختانها في الخامسة والتي أصرت عليه جدتها.

تزوجت أيان من هذا القريب ـ عام 1992 ـ وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها، وتبعته في وقت لاحق إلى كندا. وخلال مرور عابر لها بألمانيا قررت عدم الرضا بالمستقبل الذي ينتظرها، وبدلاً من أخذ الطائرة إلى كندا ركبت القطار، وفرت إلى هولندا. وهناك ولأنها كانت تخشى الطرد وإجبارها على العودة إلى الصومال، قررت أن تفعل أي شيء في سبيل تعزيز إقامتها.

خادمة منزل

فور وصولها استقرّت في مأوى للمهاجرين وصارت تحصل على اللجوء السياسي وتنخرط في حياة متسارعة الوتيرة؛ انتقلت من العمل كخادمة ومدبّرة منزل إلى العمل كمترجمة في مكاتب الخدمات الاجتماعية التي تعنى بالنساء اللواتي هجرن منازلهن. ورأت إمكانية تسلّقها السلم الإجتماعي في البلد المضيف. فصارت تنكبّ على متابعة دروس في العلوم السياسيّة وتنضمّ إلى حزب العمل الهولندي الذي اعتقدت بأنه سيرفع من شأنها. ويبدأ نجمها بالسطوع منذ انضمامها للحزب. وبعد فترة انضمت إلى وعاء الفكر التابع لحزب العمال الهولندي. فالحزب يبحث عن شخصيات من هذا النوع ليقوم بتوظيفهم لأغراضه الدعائية ضد الإسلام، ليكسب من ذلك الأصوات الانتخابية.

وبعد ذلك بأسابيع قليلة وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ قررت أن تستثمر تلك الحادثة لصالحها، فتحدثت داخل الحزب ثم في الصحف عن شخصية محمد عطا كما تفهمها هي باعتبارها مسلمة. وقالت: "لو كنت رجلاً وخضعت لنفس ظروفه لفعلت ما فعله؛ فقد كانت أفكاره هي نفس ما اعتدت أن أؤمن به". وفي عام 2002 أصبح لها حضور إعلامي متكرر؛ فقد كان المجتمع الهولندي في حاجة لمزيد من فهم عقلية المهاجرين، وكانت أيان واحدة ممن يبوح ويهاجم هذه العقلية بوقاحة. وخاصة بعد انتقالها من وعاء الحزب العمالي إلى وعاء الحزب الليبرالي المحافظ الذي استقطبها.

قالت أيان

الإسلام دين لا يسمح لأحد أن ينتقده، ويلاحق ويقتل كل من يفعل ذلك، إن الله عطوف رحيم في المفهوم الغربي، ولكن عند المسلمين فالله شيء آخر؛ حيث أن الإنسان يأتي إلى الحياة من أجل الحياة الأخرى ما بعد الموت. وعندما ذكر السياسي المتوفى "بيم فورتاون" ـ في عام 2002 ـ أنه يعتبر الإسلام ديناً متخلفاً، أيدته قائلة: إنه فيما يخص قضايا معينة مثل معاملة النساء؛ فإن ذلك لا يمثل رأيًا، وإنما حقيقة.

من ذلك الحين فصاعداً أصبح ظهور أيان في الأجهزة الإعلامية متواترًا، وبدأ

رجال الدين المتعصبون في تهديدها، كما تلقى والدها "هيرسي ماغان"؛ الذي يعيش في إنجلترا - بدوره - عديداً من التهديدات؛ ليس فقط من هولندا، وإنما من دول أوروبية أخرى أيضاً.

سيناريست وتعرّي !.

اسم "ايان هيرسي علي" سيظل مرتبطًا على الدوام باغتيال المخرج "ثيو فان كوخ"، في 2004، حيث أخرج "فان خوخ" فلما لها تحت اسم "الخضوع - الجزء الأول"؛ الذي يستغرق إحدى عشرة دقيقة. يعالج الفلم أربع قصص حول العنف ضد النساء والآيات القرآنية؛ التي استخدمت أو يمكن أن تستخدم في تبرير ذلك العنف. جرى ظهور تلك الآيات القرآنية على جسد شبه عار لامرأة أسيئت معاملتها. كان إنتاج ذلك الفلم السبب - جزئيًّا - في وفاة "فان خوخ"؛ فقد أطلق شاب مغربي مسلم في السادسة والعشرين من عمره الرصاص عليه، ثم طعنه حتى الموت. لم يكن قد مر عام على تعارف ذلك المخرج بـ أيان، ومنذ تلك اللحظة اضطرت أيان للاختباء؛ حيث اختفت لبعض الوقت في أماكن سرية، كان من بينها الولايات المتحدة الأمريكية، وقاعدة بحرية في أمستردام.

وتقول أيان عن ذلك " في الواقع لقد خطوت خطوة فيها من الخطر على حياتي عندما حكموا علي بالموت لأنني دخلت بصراع فكري، ويلومونني المفكرون الغربيون على ذلك.

والأكثر إثارة حادثة القتل التي قتل بها المخرج الهولندي حيث أصبح عندي قناعة كاملة ومطلقة أنني أريد أن أعبر عما أفكر به دون أن يوقفني أحد ولي شركاء كثيرون منهم **سلمان رشدي ، وإرشاد مانجي، وتسليمة نسرين، ومحمد أبو زيد** . والغريب في أمرنا جميعاً أننا محميون من قبل النصارى أليست هذه مفارقة مسلمون محميون من قبل النصارى، والمسلمون ينعتوهم بالمشركين.

انتقادات غربية لأيان

توجه انتقادات كثيرة لـ أيان لما تعلنه من آراء، ليس فقط من جانب كثير من

المسلمين، وإنما أيضاً من جانب المؤمنين من الهولنديين بالتعددية الثقافية؛ الذين يعتبرون ملاحظاتها مسيئة وبغيضة للغاية؛ لتطرفها الشديد، وعدم مساهمتها في حمل الناس على التعايش معاً.

تستثير ملاحظاتها وانتقاداتها كافة المسلمين حتى المعتدلين أيضاً، والذين يتزايد وقوفهم ضدها. أصبح كثير من هؤلاء المسلمين ـ الذين كانوا يتفقون أساساً معها ـ يشعرون الآن بالغضب والانزعاج من وقاحة تصريحاتها. من المؤكد اعتبار آرائها مسيئة لبعض المسلمين.

التايم تختار أيان

اختارت مجلة تايم أيان كواحدة من أكثر الشخصيات المئة تأثيرًا في العالم. فإلى جانب كارتر وأسماء عالمية معروفة وضع اسم هذه الفتاة التي تعادي دينها وشعبها وأمتها الإسلامية. ومرة أخرى نلاحظ الأغراض المتطرفة في وسائل الإعلام الغربية.

انتهت أيان هيرسي من كتابة سيناريو الحلقة الثانية من **"الخضوع"**؛ الذي يعالج رفض الإسلام للمثليين. وتتحدث للصحافة وتقول:

"إني لست نادمة على أي شيء. أتابع ما أقوم به. هدفي الوحيد هو تحرير النساء من دين وثقافة يناصبانهنّ العداء". وقد جعلت عنوان أحد فصول كتابها "عشر نصائح للمسلمات اللواتي يردن الفرار"، فهي تتخيل بأن النساء المسلمات كلهن في الأسر وسجون الأزواج، أو أنها تريد إيهام الغرب بتلك الصورة. أمام المسلمين أبواب كثيرة جداً مفتوحة لتغيير تلك الصور المزيفة التي يروجها هؤلاء الكذبة في الغرب. وعند إظهارهم على حقيقتهم سينبذهم الغرب ولن يظهر خونة آخرون من أمثالهم.

طريقة صعود أيان

عام 1992 وصلت فتاة صومالية إلى هولندا ادعت أن اسمها (أيان هيرسي علي) وقدمت طلباً للجوء السياسي ، باعتبارها قادمة من بلد تطحنه الحرب الأهلية . لم يكن مع الفتاة جواز سفر أو وثائق أخرى تثبت شخصيتها ، تماماً كما يفعل أغلبية اللاجئين القادمين إلى أوروبا من آسيا أو إفريقيا خشية إعادتهم إلى بلدانهم أو

البلدان التي قدموا منها. كما أدعت هذه الفتاة أنها من مواليد مقاديشو 1967. إضافة إلى ذلك فقد ادعت أنها أُكرهت من قبل ذويها على الزواج من رجل لم تشاهده في حياتها ، وأن إعادتها إلى الصومال ستعني قتلها من قبل عائلتها المسلمة (غسلاً للعار) جرياً على العادة. خلال سبعة أسابيع حصلت أيان على حق اللجوء السياسي ، لتدخل بعد سنوات عالم الشهرة من بابه الأوسع (السياسي) ولتصبح معروفة لا في أوروبا وحدها بل والعالم أجمع ، أو كما تقول هي ، **فإنها حققت الحلم الأمريكي ، من العدم إلى قمة الشهرة.** وحصلت عام 1997 على الجنسية الهولندية ودرست لمدة سنة في المدرسة العليا في مدينة (درييرخن) لتنتقل الى جامعة (ليدن) وتحصل على دبلوم في فرع العلوم السياسية.

انتمت في البداية إلى حزب العمل PvdA لتكتشف أنه لا يلبي طموحاتها في الصعود من وادي السياسة العريض إلى قمته العليا، فقامت بقفزة مفاجأة بالانتقال إلى الحزب اليميني القائم أصلاً على موقف التشدد من الأجانب والحفاظ على نقاء هولندا. ولكن كما هو معروف، فإن من مصلحة مثل هذه الأحزاب احتضان مثل هذه الشخصيات أجنبية الأصول لاستخدامها كورقة ضاغطة في سياساتها اليمينية بحجة أن مثل هذه السياسات تلقى ترحيباً من الأجانب أنفسهم!
أصبحت عضواً في البرلمان الهولندي عن حزبها في يناير 2003 .وفي أغسطس 2004 أنتجت أيان هيرسي علي مع المخرج الهولندي (فان خوخ) فلم الخضوع . Submission

والذي يعرض أربع نساء مسلمات شبه عاريات يروين قصصهن والاضطهاد الذي يقع عليهن والاعتداء في البلاد الاسلامية، ما أثار الجاليات الاسلامية، وخاصة المتشددين منهم، وانتقلت عدوى العداء لأيان في بلدان مختلفة، ما كان واحداً من عوامل شهرتها المتصاعدة.

في نوفمبر 2004 قتل شريكها في فلم الخضوع (فان خوخ) على يد إسلامي مغربي بطلقات نارية وطعنا بالسكين، وأصبحت نفسها مهددة بهدر دمها وتعرضت لتهديدات مكشوفة. ومنذ ذلك الحين وهي تعيش متخفية وتحت حماية البوليس المشددة. وبسبب من الرعب الذي يعاني منه سكان البناية التي أُسكنت فيها أيان من قبل الحكومة الهولندية والحماية المستمرة، والخوف من أن يقوم متطرفون بالقيام بعمل إرهابي قد يطال كل من يسكن في العمارة، فقد قُدمت شكوى إلى القضاء الذي حكم لصالح سكان البناية والحي وأمر بأن تخلي أيان المسكن في

فترة وجيزة.

في نوفمبر 2005 أعلنت أيان استعدادها لإنتاج فلم Submission 2 وفاءً لذكرى (فان خوخ)، وإكمالاً لمشوار فلمها الأول. هذا الفلم يفترض أن يتعرض للموقف الإسلامي من الشذوذ المتشدد من الانحلال الجنسي والبغاء والمثلية بين الرجال أو النساء.

أصبحت أيان مثيرة للجدل، بل مولعة بالجدل والاختلاف، وتعتبر الإسلام بحد ذاته تربة مناسبة لنشوء التطرف، وبناء على تجربتها الشخصية. أن مايحسب لصالح أيان حتى من قبل الأحزاب اليسارية الهولندية هو أنها أطلقت النار على التابو المتعارف عليه في هولندا بشأن الجدل في الإسلام ، أو كما يحلو لسياسيي هولندا أن يسموه (أنها أطلقت الجن من القمقم.) فالهولنديون لم يكونوا ليجرؤوا على الإساءة للإسلام مثلما فعلت هي.

وتدافع أيان عن حقوق النساء المسلمات وتعتقد بأنها تدعو إلى نبذ الاضطهاد والتمييز و (العنف الإسلامي) تجاه المرأة المسلمة، الذي لا يجد جذوره في العادات والتقاليد في المجتمعات الإسلامية، في رأيها، بل في النصوص القرآنية المقدسة والسنة والحديث، والتي تشكل حسب تعبيرها: "عقبة كأداء في تطور تلك المجتمعات الإسلامية وتقبلها الديمقراطية والحرية الفردية ".

ومع أن أيان تستخدم حرية التعبير وديمقراطية هولندا للتعبير عن آرائها المشاغبة فإنها تدعو هولندا والمجموعة الأوروبية إلى منع أستخدام الحرية هذه التي يكفلها الدستور من قبل الإسلاميين، ومنع إنشاء مؤسسات و مدارس إسلامية (بحجة حرية الإيمان والمعتقد) لما أُثبت من استخدامها "في نشر الأفكار المتطرفة ورعاية الإرهاب أوالدعوة له" حسب تعبيرها. علماً بأن الغرب كله وطوال قرنين من الزمن تقريباً لم ير أياً من هذا عند المهاجرين المسلمين.

لقد أطلقت أيان على الإسلام تعبير دين متخلف ومصدر تمييز ضد المرأة، وأسمت نبي الإسلام زير نساء ورجل فاجر (لأنه تزوج من ابنة صديقه وهي بعمر 9 سنوات (عائشة) ما أثار الكثير من الاحتجاج والنقاش والتهديد في الأوساط الإسلامية لا في هولندا وحدها بل وفي غيرها أيضاً. إن أيان لا تنكر في تصريحاتها حق الناس بالإيمان، وتعتقد أن هناك الكثير من المسلمين المسالمين، إلا أنها تهاجم الراديكاليين الداعين إلى تدمير الديمقراطية والحرية الغربية. والغريب أن موقف

أيان من التمييز الإسلامي المتطرف ضد المرأة لم يحشد كثيراً من النساء المسلمات خلفها، حتى في هولندا نفسها، بل إن معظم النساء المسلمات اللائي يسألن عن رأيهن في أفكار أيان يتخذن موقف سلبي من دعواتها، لأنها تهاجم مقدسات لا نقاش فيها أو حولها!

أكاذيب أيان تنكشف

هناك مثل هولندي يقول مامعناه إذا كان الكذب سريعاً فإن الحقيقة أسرع وستلحق به ومثل آخر يقول: ((إذا ظهر حَمَل من خلف التل، فهذا يعني ظهور خراف أخرى خلفه)) وهذا ينطبق على أول كذبة تم كشفها من قبل أيان نفسها بشأن ماضيها.

عام 2002 أعلنت أيان في برنامج تلفزيوني أنها كذبت بشأن اسمها وعمرها وطريقة وصولها إلى هولندا، إلا أن هذا التصريح لم يلهب النار يومها، وكأنما مر مرور الكرام، إلا أن الأيام ظلت حبلى بالمفاجآت.

هناك برنامج تلفزيوني هولندي "زِمبلا" عرض في يوم الخميس 11-05-2006 فلماً وثائقياً لمدة نصف ساعة عن حقيقة أيان هيرسي علي، فهي دخلت في لعبة أكبر منها. دخلت في تصارع الأحزاب، والمنافسة على الشعبية والمقاعد، والديمقراطية المخصصة لهم ستوقع باللاعبة المزيفة.

والذي قاد هولندا إلى ساحة حرب في النقاش السياسي الساخن . يذهب بنا الفلم إلى ألصومال ومن ثم إلى كينيا بحثاً عن هوية هذه البرلمانية التي أشغلت الدنيا، فكسبت الشهرة والأصدقاء، وتركت آثاراً نفسية سيئة على أعدائها. هناك يتم اللقاء بأخيها مهدي، ووالدتها ووالدها وأقاربها ومعارفها ومعلماتها فنكتشف أن اسمها الحقيقي ليس (أيان هيرسي علي) بل (أيان هيرسي ماجان) وهي ليست من مواليد 1967 بل 1969 . ولدت في عائلة مسلمة لديها خمس بنات وولد واحد (مهدي) . والدها كان ضد ختان البنات المتعارف عليه في الصومال لدى المسلمين، إلا أن جدتها ختنتها وهي بعمر خمس سنوات.

والد أيان كان أحد معارضي محمد سياد بري حينها وعاش معظم أوقاته في

الخارج، في إيطاليا والولايات المتحدة ثم إنكلترا. وعندما كان عمر أيان ست سنوات هربت العائلة إلى العربية السعودية، وذلك قبل نشوء الحرب الأهلية في الصومال، منها انتقلت الى أثيوبيا وبعد أربع سنوات إلى كينيا حيث أمضت أيان فترة 11 عاماً. في كينيا تحصل رسمياً على اللجوء وتدخل أفضل المدارس بفضل إمكانيات والدها المادية (والدها ووالدتها مطلقان) وبهذا فهي لم تشاهد أي حرب كما ادعت في هولندا عند تقديمها طلب اللجوء ! في المدرسة التي تعلم بالإنجليزية أتقنت أيان اللغة بشكل جيد، ولم يكن يهم العائلة سوى تسلق أولادها السلم الاجتماعي، ولذلك فإن أخاها الوحيد كان يدرس في مدرسة **مسيحية**، وهذا ينفي أنها من أسرة متشددة وتطبق الشريعة الإسلامية، كما كانت قد ادعت.
أخ أيان وعمتها وبقية عائلتها تتحدث عن زواج عادي لأيان، لا ينطبق مع القصة التي اختلقتها عند وصولها هولندا. فلم يكن أحد قد أكرهها على الزواج، فقد تعرفت على شاب صومالي يعيش في كندا ويحمل جنسيتها، تزوجته (حسب الزوج نفسه) وعاشت معه لأكثر من أسبوع كزوجة. يقفل الزوج عائداً إلى كندا ويترك معها مالاً لتلتحق به فيما بعد.

أثناء رحلتها إلى زوجها، تتوقف في ألمانيا لتقضي بعض الوقت، ثم تستقل القطار لتصل إلى العاصمة الهولندية أمستردام، وتقدم طلباً للجوء السياسي كما مر. وبفضل كذبتها بشأن الحرب الأهلية، وزواجها بالإكراه من رجل لم تره في حياتها، تحصل على اللجوء سريعاً. أثناء وجودها في معسكرات اللاجئين تظل على اتصال بزوجها، الذي سرعان مايزورها ويطلب منها اللحاق به إلى كندا، إلا أنها ترفض، وتطلب منه (كما يقول) أن يظل إلى جانبها في هولندا، لكنه بدوره يرفض إبدال حياته المستقرة في كندا بحياة لاجئ في هولندا، فيرجع عائداً إلى كندا، ليتركها نجماً تواقاً للصعود في حياة هولندا السياسية.

أثار الفلم الوثائقي عن حقيقة أيان ضجة مازالت مستمرة، لعلها لا تقل عن تلك التي أثارها فلم ((الخضوع)) أو مقتل مخرج الفلم ، فقد اتضح أن حزبها (VVD) على علم بتفاصيل كذبها للحصول على اللجوء ، وصمت عنها ، وهي فضيحة أدّت بالفعل إلى سقوط (وزيرة شؤون الأجانب – فردونك) التي كانت تسعى إلى رئاسة حزبها والتي انخفضت حظوظها في المنصب بعد إثارة هذه القضية. هذه الوزيرة

المتشددة تعتبر أن أيان لا تحمل الجنسية الهولندية، لأن اسمها الحقيقي (أيان هيرسي ماجان) والجنسية ممنوحة لشخص وهمي (أيان هيرسي علي) فتواجه موقفاً معارضاً من الحزب والبرلمان والحكومة في آن واحد . ترتفع أصوات أخرى من قبل الأحزاب اليسارية ترفض حرمان أيان من الجنسية وتطالب بمعاملة اللاجئين جميعاً بنفس الطريقة وعدم الكيل بمكيالين، إذ تم حرمان عائلة عراقية من جنسيتها الهولندية بعد اكتشاف أنها كذبت بشأن اسمها الحقيقي. في هذه الأثناء تبعث السيدة فردونك برسالة إلى أيان تبلغها بحرمانها من الجنسية، مع حق الاعتراض خلال ستة أسابيع . بعد خمسة أيام تقدم أيان استقالتها من البرلمان مجبرة، إذ لا يحق لها رسمياً أن تكون عضواً في البرلمان وهي لا تحمل الجنسية الهولندية. وتعلن أيان أنها ستغادر إلى أمريكا للعمل من شهر سبتمبر مع مركز البحوث الأمريكي المحافظ الذي يبحث عن مثل هذه الشخصيات ليوظفها سياسياً في معاداته للعرب والمسلمين. واسمه الإنكليزي: American Enterprise Institute وهو يقوم بدور استشاري مهم للحكومة الأمريكية ، ويعتقد بأنه كان وراء فكرة أحتلال العراق والإطا حة بدكتاتوره صدام.

ويعلن نائب وزير الخارجية الأمريكي عن غضبه من معاملة هولندا لأيان بهذه الطريقة باعتبارها واحدة من الشخصيات المناهضة للإرهاب في العالم، وأن أمريكا ترحب بها سواء منحتها الحكومة الهولندية جوازها أو بدونه. وتنضم بلجيكا إلى القافلة وتعلن استعدادها لمنحها الجنسية البلجيكية!
إن البرلمان الهولندي والحكومة ألزمت السيدة فردونك إما بإيجاد مخرج قانوني لمحافظة أيان على جنسيتها الحالية أو منحها الجنسية مجدداً بطريقة مستعجلة على اسمها الحقيقي .

الطريف في الأمر أن أيان صارت ضحية لقوانين أيدتها بشدة لتكون هي نفسها ضحية لها ، وصارت عضواً في حزب متشدد ، انعكست سياسته عليها أيضاً.
وتطرح أيان آراء ليبرالية عديدة مُرضية للغرب بشأن المثليين والإجهاض والموت الرحيم (حق المريض بمرض عديم الأمل بالشفاء برفض العلاج واختيار الموت) مثلاً في حين أن المعهد يحمل آراء بوش المحافظة في ذلك.

عن شهرة أيان عدا عن وصولها إلى البرلمان الهولندي فإن شهرتها عبرت

الحدود، فقد حصلت على جائزة الحرية من قبل الحزب الدنماركي Venstre كناشطة ومكافحة من أجل حقوق المرأة المسلمة كما يقولون، وحرية التعبير. ولم تحضر لاستلام الجائزة شخصياً . وفي عام 2005 سافرت إلى الدنمارك لتقابل رئيس الوزراء وتشكره شخصياً على الجائزة.

وفي هولندا حصلت على جائزة إحدى المجلات الشهرية تقديراً لما اعتبروه "جهودها في عن المرأة المسلمة والمساواة."

اختيرت كواحدة من 100 شخصية مؤثرة في العالم عام 2005 من قبل مجلة تايم مكازين في صنف السياسيين!

وفي 2005 حصلت أيضاً على جائزة الديمقراطية من الحزب الليبرالي السويدي وأخيراً رشحت البرلمانية النرويجية Christian Tybring-Giddeأيان هيرسي علي لجائزة نوبل للسلام في العالم لعام 2006.

انتهازية وفاشلة

من شأن أيان هيرسي علي أن تحقق الكثير لو توقفت عن إدانة المسلمين وحاولت أن تناقش القضايا الإسلامية معهم، أو إلى جانبهم. لكنها حين تعدّت الخطوط الإسلامية الحمراء أثبتت بأنها أشد الناس انتهازية. فيمكن أن يكون المرء انتهازياً ويكذب في تحديد عمره أو سياسته، لكن أن تكذب بشأن زواجها.!. وأن تستثمر الدين لتحقيق مصالحها الشخصية، فإنها في حقيقتها أشد الناس قذارة.

سرّ نجاحها في الغرب؟

يتحدث (المفكر) ماك عن سرّ نجاحها ويقول:هي تختزل الإسلام بصورة مشوهّة. تتكلم وفي مخيلتها الإسلام الصومالي عن الإسلام في باكستان وأندونيسيا وماليزيا وتركيا أو المغرب وهذه عجرفة محضة. وهي تتقول بأشياء لا تمت إلى الحقيقة بصلة، كقولها إنه لا توجد فنون في الإسلام، وإنه دين بدائي. يا له من هراء! ألم تسمع بقصر الحمراء وقرطبة؟ المشكلة أن هناك الكثيرين ممن يودون سماع شيءٍ كهذا.

دعوة المسلمين للرحيل عن بريطانيا

قال رئيس لجنة المساواة العرقية في بريطانيا السير تريفور فليبس إن على المسلمين تقبل الواقع القائل إن حرية التعبير تعتبر أساساً للشخصية البريطانية، وإنها حرية ينبغي المحافظة عليها حتى لو أدى استخدامها إلى إهانة أو إزعاج بعض الناس. وقال: "علينا السماح للناس باهانة بعضهم بعضاً." كما نصح المسلمين الذين يطمحون للعيش في مجتمع يطبق الشريعة الإسلامية بمغادرة بريطانيا.

وجاءت تعليقات فليبس عقب تظاهرات صاخبة قام بها بعض المسلمين البريطانيين احتجاجاً على نشر صور كاريكاتيرية.

وقال فليبس: "إن الشيء الذي يجب أن تتقبله الأقليات العرقية في هذا البلد هو وجود بعض القضايا المركزية التي نؤمن كلنا بها، وهي تتعلق بالطريقة التي نتعامل بها مع بعضنا البعض، وإيماننا بالديمقراطية، وإن نحل المشاكل فيما بيننا بالتصويت وليس بالعنف، وأن نتحمل الأمور التي لا تروق لنا."

واستسخف بفكرة تطبيق الشريعة الإسلامية ضمن نطاق الجالية المسلمة في بريطانيا قائلاً: "لدينا نظام قانوني واحد فقط يقره أعضاء البرلمان البريطاني. فعلى الذين يرومون العيش في هذه البلاد التقيد بقوانينها. أما الذين يريدون نظاماً آخر، فعليهم العيش في بلد آخر."

انزعاج غربي بسبب انتقاد المثليين

رئيس لجنة المساواة العرقية في بريطانيا السير تريفور فليبس كان منزعجاً جداً بسبب الانتقادات التي يوجهها بعض المسلمين في الغرب للشواذ والمثليين. ودافع فيليبس عن المثليين وقال: "إن الالتزام بحرية التعبير يعني أيضاً إتاحة المجال للأئمة المسلمين بالتفوه بتعليقات قد تكون جارحة لأغلبية المواطنين البريطانيين، كالهجوم على المثليين.

وقال: "واحدة من العوامل التي تسهم في تكوين الشخصية البريطانية هي أن الناس بإمكانهم التفوه بتعليقات سخيفة وغير مناسبة عن شتى مناحي الحياة."

يذكر أن في ألمانيا وبعض الدول الغربية تم اعتماد امتحان خاص يجرى

للراغبين بالحصول على الجنسية، وفيه تطرح على المسلم العديد من الأسئلة، وعليه أن تكون إجاباته موافقة لأخلاق الغرب. فمن ضمن هذه الأسئلة التي أزعجت المسلمين سؤالهم عن رأيك بالمثليين وهل يمكنك أن تكون مثلياً، وهل تسمح لأبنائك أن يصبحوا مثليين؟. وكما نعرف فالمسلمون يخجلون من هذه الأسئلة ومن طرحها فكيف لهم أن يوافقوا كذباً على القبول بها بهدف الحصول على الجنسية الأوروبية؟. وهذا السؤال كان السبب في طرد الكثير من المسلمين الذين أجابوا عليه بالرفض. في حين أن الغرب نفسه يحوي مواطنين من أصول أوروبية يستنكرون بشدة ظاهرة المثلية والشذوذ الجنسي.

الاتحاد الأوروبي يساند الرسوم ويدعو لاستمرارها

ندد نواب في البرلمان الأوروبي بالتظاهرات العنيفة التي قامت في أوروبا بعد نشر صحيفة دنماركية لرسوم كاريكاتيرية مسيئة للنبي محمد. ورفض النواب الأوروبيون، الذين ضمنوا نقدهم دعوة إلى الحوار، أن تكون نظرية ما يسمى بصراع الحضارات قد ساهمت بإشعال فتيل موجة الاحتجاجات. ودعا بعض النواب خلال الكلمات التي ألقوها في برلمان ستراسبورج الصحافة إلى ممارسة حريتها بمسؤولية.

وقال النائب الدنماركي نيروب راسموسين الذي تكلم باسم كتلة يسار-الوسط في البرلمان أن أوروبا تعلمت، بأصعب السبل، قيم التعايش السلمي.

وأضاف راسموسين: "نقول لا للذين يدعون أننا ضدهم". وتابع منتقداً "المتطرفين والإسلاميين الذين "استعملوا الرسوم الكاريكاتيرية لاختلاق مشكلة وافتعال أعمال العنف". وقال هانس-جيرت بوترينج، الناطق باسم يمين- الوسط في البرلمان الاوروبي إن خطوة الكلام عن حوار الحضارات التي قام بها الاتحاد الأوروبي لا تكفي ويجب اتخاذ خطوات أكثر واقعية.

وندد النائب اليميني بالعنف الذي رافق التظاهرات في البلدان الإسلامية، مضيفاً إن هذه الاحتجاجات لم تكن عفوية بل شجعتها انظمة لا تؤمن بحرية التعبير.

وقال خوسي مانويل باروسو، رئيس المفوضية الأوروبية إن مقاطعة المنتجات

الدنماركية كان بحد ذاته بمثابة مقاطعة المنتجات الأوروبية ودعا الجميع إلى التحلي بالقيم العالية لمواجهة ما أسماه بالإساءات البشعة.

الإساءة للمقدسات الإسلامية منهج غربي

الغرب في إساءته للأمة انطلق من منهجية واضحة وراسخة في ذهنه، ولم تكن خبط عشواء أو ارتجالية، أو فقط كرد فعل على هجمات الحادي عشر من سبتمبر، التي ضربت الولايات المتحدة الأمريكية، بل نرى تناغمًا من ورائه قوى تحركه في ظلام الجهل والحقد الغربي على الأمة الإسلامية.

وهذه بعض خيوط ذلك المنهج الآثم:

1ـ شمول الإساءة لكل ما هو مقدس في الإسلام

لقد تعددت أوجه الإساءة. فبعضها تعرض للإسلام ذاته، وانتهاكات أخرى وجهت لكتاب الله عز وجل، وثالثة عرّضت للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ورابعة وجهت إلى بعض شعائر الدين كالحجاب والصلاة والصيام، وإساءات لمسلمي الغرب، ثم وجهت إساءات لتشمل كافة المسلمين أينما وجدوا.

ـ فقد انتهكت حرمة كتاب الله ووضع في القاذورات والمرحاض في سجون جوانتانامو نكاية في المعتقلين هناك، وشيء من ذلك أيضًا شهدته سجون الاحتلال الصهيوني.

ـ وتعرّض النبي صلى الله عليه وسلم للسخرية من خلال الرسوم المسيئة في صحف الدانمارك والنرويج والسويد، هذا فضلاً عن المقالات التي عرضت له ولحياته بطريقة مهينة تنم عن حقد دفين.

ـ وقد جرى اقتران الإسلام بـ"الإرهاب"، وظهرت الدعوات اليمينية التي تدعو إلى طرد المسلمين من أوروبا، متزامنة مع تصريح بابا الفاتيكان بأن الإسلام انتشر بالإكراه وحد السيف.

ـ ويواجه النقاب والحجاب حربًا مستعرة في عدد من الدول الأوروبية، حيث أبدى مفوض العدل بالاتحاد الأوروبي "فرانكو فاتيني" معارضته للحجاب؛ زاعمًا أن ارتداء المرأة المسلمة له داخل المجتمعات الغربية يزيد عملية الاندماج صعوبة، وأنه يتعارض مع القيم والنظم الأوروبية الحضارية.

كما علّق على الحجاب العديد من الساسة الأوروبيين ومنهم توني بلير. وأصدرت فرنسا قانونًا يحظر ارتداء الحجاب في المدارس، وتحظر بعض الولايات الألمانية على المعلمات في المدارس الحكومية ارتداء الحجاب، وكذلك حظرت إيطاليا جميع أغطية الوجه بأن أعادت العمل بقوانين قديمة كانت قد صدرت لمواجهة ما يسمى "الإرهاب" المحلي.

2 ـ الهجوم من قِبل كافة التيارات والشخصيات

لم يعد التهجم على الإسلام والنيل من مقدساته حكرًا على فئة بعينها، غالية في تصوراتها يمينية في أفكارها ومعتقداتها، بل شمل كافة القطاعات الغربية بما فيها من رجال السياسة والصحافيين والممثلين ورسامي الكاريكاتير، وشرائح عدة من المجتمع الغربي، ورغم ذلك فقد اقتصرت هذه العدائية على عدد محدود من الأشخاص فيما اتخذ الأغلبية موقف الحياد.

فالغرب يحرص على تنوّع مصدر الإساءة، فمرة تأتي من الفاتيكان، وأخرى من السويد، وثالثة من الدانمارك.. وهكذا تأتي السهام من أكثر من جانب ومن أكثر من دولة وجهة؛ بهدف تفريق الجهود الإسلامية ومنع تجمعها على مصدر واحد وتشتيت قوتها، وحتى لا تحمل عاصمة واحدة أو جهة ما عبء المواجهة وحدها .

3 ـ العناية الغربية ببعض الأقلام المهاجرة واستغلالها

استغل الغرب بعض الأقلام المغمورة اللاهثة وراء الثروة والشهرة وأعطاها ما تريد؛ في سبيل أن تغمس أقلامها في تلك المؤامرة، وتسلط سهام نقدها المسموم على الإسلام والمسلمين، ووجدت بالفعل بغيتها في فئة ضالة.

وإلى جانب هؤلاء يعني الغرب ويبرز أولئك الذين فُتنوا عن دينهم بالردة، بل ويسعى جاهدًا ليفتح أمامهم المجال للطعن في الإسلام وتكوين الجمعيات والمنتديات المختصة بهذا الشأن، ومن هؤلاء رئيس" جمعية المرتدين عن الإسلام في هولندا" إحسان جامعي.

4. الاستمرارية في الإساءة

فالغرب يصر على الإساءة، ويمضي فيها قدمًا، حتى لا تكاد تمر الأيام القلائل إلا وتحمل الرياح الغربية إساءة جديدة من جهة مغايرة.

الأهداف الغربية من تعمد الإساءة للمقدسات الإسلامية

الغرب يهدف من وراء هذه المنهجية المنظمة في النيل من مقدسات المسلمين وعقائدهم عدة أهداف منها الآتي:

1. جس نبض الشارع العربي والإسلامي

فالغرب يسعى لمعرفة حرارة التديّن في الشارع المسلم، والمصادر التي تقود إلى توهج هذه الحرارة، والعوامل التي تؤثر فيها، على نحو ما تفعل "إسرائيل" بالنسبة للمسجد الأقصى والقدس وتوسيع المستوطنات؛ حيث تختبر نوايا المسلمين تجاه مخططاتها الرامية إلى تقويض المسجد المبارك؛ وبناء على ردود الأفعال تحدد إحداثيات أفعالها المقبلة .

2 ـ جعل الإساءة إلى مقدسات المسلمين أمر طبيعي ومعتاد

فالغرب يعمل على امتصاص ردود الفعل الشعبية المندفعة عقب كل حادثة، ثم يعاود الإساءة مرة أخرى؛ حتى يتكون شعور داخلي لدى المسلمين بكون هذا الأمر طبيعياً ومتقبلاً؛ وهو ما قد يكون له التأثير في منزلة هذه المعتقدات والمقدسات لدى المسلمين على مرور الأجيال، فيتم "تذويب" معالم الدين رويدًا حتى تظهر أجيال ممسوخة خجولة من هويتها وانتمائها الديني، وتجري لاهثة وراء الغرب وقيمه الخاوية التي يستعلي بها.

3 ـ تكوين رأي عام غربي مناهض للإسلام

يسعى الغرب جاهدًا لتكوين رأي عام معادي للإسلام والمسلمين؛ من خلال المس المباشر بمقدسات الدين وإظهار الإسلام على أنه نموذج للرجعية والتخلف، وأن دعاته همجيون لا يؤمنون بحرية الرأي والمعتقد.

دافع الغرب في ذلك هو إجهاض أي توجّه يقود الشعوب هناك لرؤية الإسلام بوجهه الحقيقي كما أنزله الله، والخوف من "أسلمة القارة الأوروبية"، وهو الأمر الذي لم

يعد خافيًا على أحد؛ حتى نطقت به أفواه الغرب كلها أكثر من مرة، منهم رئيس الحزب المسيحي الاشتراكي "إدموند شتوبير"، وصرح به كذلك "جيورج جاينزفاين" السكرتير الخاص للبابا بنديكيت السادس؛ محذرًا من ذوبان هوية القارة المسيحية.

فالغرب يسعى جديًا لفرز عالم اليوم بين **"شرق إسلامي إرهابي مدمّر "و"غرب مسيحي ديمقراطي متحضر"**.

4 - وتأجيج الصراعات مع الإسلام بالنيل منه؛ ووضعه في موضع العدو هو سبيلهم إلى ذلك.

5 - الخشية من ركائز النهضة الإسلامية

الغرب يدرك جيدًا أن نهضة هذه الأمة لن تكون إلا بالتمسك بمرجعيتها الدينية وثوابتها وهويتها الإسلامية، ومن ثَم فهو يخشى من يقظة العملاق مرة أخرى، وهو ما قد يقوّض أحلامه في سيادة الكون، خاصة مع التآكل الحادث في حضارته المادية التي أشقت الإنسانية التي باتت متطلعة للمنقذ من هذا الضلال والشقاء المزخرف بمادية طاغية استعبدت الإنسان الغربي وأنهكت قواه الروحية. إدراك الغرب لتلك الحقيقة راح يقابلها بمحاولة القضاء على مرتكزات النهضة الإسلامية، المتمثلة في ثوابت الأمة ومقدساتها؛ خشية القادم الذي يزيله من كرسي الريادة، ويضعه حيث مكانه الصحيح في قاع الحضارة الإنسانية.

6 - وضع الإسلام في صورة متدنية عن بقية المعتقدات

لا شك أن هذه الإساءة للمعتقدات الإسلامية يقابلها تشدّد مفرط في أية إشارة أو عبارة تشكك فيما ترى "إسرائيل" أنها من مقتضيات وجودها أو تاريخها، ومن ذلك الحديث عن "الهولوكست" أو مناقشته.

7 – المضي في مشروع العولمة، والذي من أهم برامجه ومقتضياته، **العولمة الثقافية،** حيث يقف الإسلام وحده مناهضاً لكافة برامج العولمة الثقافية ومتحدياً لها بقوة وعناد. والعولمة مبرمجة حسب رغبات ومصالح الصهيونية العالمية.

الفاتيكان: عداء قديم للإسلام

هل نحن أمام تاريخ طويل من العداء الفاتيكاني الشديد للإسلام ومن ثقافة الكراهية السوداء لأمة الإسلام؟

إن عداء الفاتيكان للإسلام عداء له تاريخ وأن محاضرة بنديكتوس السادس عشر ما هي إلا فصل جديد – ولن يكون الأخير– في فصول العداء للإسلام والافتراء على مقدساته ورموزه وحضارته. وهو يأتي بعد عام من أحداث الرسوم الدانماركية التي أساءت إلى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم مما يدل على وجود مخطط عدائي يعمل الغرب به.

وجاءت الافتراءات هذه المرة من كبيرهم وليس من صحفي صغير متهور لقد تحدث بنديكتوس السادس عشر في هذه المحاضرة فأساء إلى إله المسلمين ورب العالمين عندما ادّعى أن المشيئة الإلهية في الإيمان الإسلامي متسامية ومطلقة لا تتقيد بالعقل ولا بالمنطق، الأمر الذي يجعل الإيمان الإسلامي برأي البابا إيمانًا وثنيًا أعمى كذلك عندما تحدث عن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم اختار عبارات الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني (1391-1425م) التي تفتري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزعم أنه لم يأت إلا بما هو شرير وسيئ ولا إنساني، ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف.

وانطلاقًا من ذلك قارن الباب بين مسيحيته وبين الإسلام فنسب العقلانية إلى المسيحية ونفاها عن الإسلام. كما اتهم الإسلام والمسلمين بالتأسيس للعنف والإرهاب، وخلط بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب الدينية المقدسة التي عرفتها ومارستها الكنيسة الكاثوليكية الغربية.

بنديكتوس تولى البابوية في إبريل 2005م بعد أن شغل فترة طويلة منصب المسؤول الأول عن النقاء العقائدي، أي قيادة الأصولية الأرثوذكسية الكاثوليكية التي تقسم العالم إلى مؤمنين كاثوليك حقيقيين وإلى كفرة.

وله تاريخ في الخوف والتخويف من الإسلام الذي أصبح اتجاهًا في الغرب "الإسلام فوبيا".

إن هذا العجب يتزايد عندما نرى تراث من ثقافة الكراهية السوداء لا يزال

باقيًا وفاعلاً دون نقد أو مراجعة بل فاعلاً وموجهًا لبابا الفاتيكان– أستاذ الفلسفة: بنديكتوس السادس عشر– في القرن الواحد والعشرين.

إنه فصل جديد في العداء التاريخي للإسلام يحشد فيه الغرب الاستعماري مؤسساته الدينية والسياسية والإعلامية لتشويه صورة الإسلام وإقناع شعوبه بهذه الحروب الصليبية الجديدة التي يريدون بها اختطاف الشرق من الإسلام بتنصير أهله ونهب ثرواته واحتلال أرضه من جديد.

اتهامات كاذبة

المؤامرة المشكوك في صحتها بدأت بإعلان المخابرات الدنماركية عن اعتقال مهاجرين تونسيين ودانمركي من أصول مغربية، للاشتباه في تخطيطهم لقتل **"ويسترجارد"**، وهي الخطوة التي تلقفتها الصحف، لإعادة نشر تلك الرسوم بدعوى التأكيد على حرية التعبير. فقد أدّت تلك المؤامرة إلى تأجيج المجتمع الهولندي وتحيضه على المسلمين من جديد. ونشرت 17 صحيفة تلك الرسوم المسيئة.
هذه الاتهامات تستند إلى قوانين الأدلة السرية وليس فيها محاكمة عادلة، والإبعاد الذي تم للتونسيين لا يستند إلى إدانة، وإنما استند إلى الاشتباه فقط، وبالتالي فإن المصداقية تكاد تكون منعدمة في نسج المخابرات الدنماركية، ويؤكد ذلك الإعلان الرسمي بعدم كفاية الأدلة .

وهي اتهامات تلفيقوية واضحة. أعادت الحديث مرة أخرى عن الإساءة للمقدسات الإسلامية إلى صدارة الأحداث ومحور الاهتمام، أن العداء الظاهر من توجهات في الغرب الآن، والهادف إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين والنيل من مقدساتهم، لهو امتداد لحال الجاهلية الأولى التي تخبطت في ظلمات المواجهة وما وجدت في جعبتها إلا الإساءة بالقول واللفظ والفعل في أحيان أخرى، في محاولة لوقف التيار المنساب الذي ما عاد أحد يستطيع أن يوقف مده أو أن يقف على مداه.. فقالوا ساحر أو مجنون.. ونالوا من كتاب الله عز وجل فقالوا أساطير الأولين.

خصائص حملة الإساءة

1ـ لا فائدة ثقافية أو فنية أو أدبية، تكسبها الدنمارك أو أي بلد غربي آخر شارك

في الإساءة من نشر تلك الرسوم، التي هي عبارة عن سب وقذف فقط في حق النبي الكريم ومقدسات المسلمين، ولا تحمل في ذاتها أية قيمة مهنية ولا أية قيمة على أي مستوى آخر.

ولا مجال للقول بأنها من قبيل حرية الرأي والدخول في فلسفات جدلية فاقدة المصداقية، هي أوهن من بيت العنكبوت، خاصة إذا ما وضعت مقارنة بتجريم نقد الهولوكست، وتفنيد ما لحق به من مزاعم وخرافات.. وبالتالي فإن أهدافًا أخرى تتحكم في تلك الدمى الغربية وتجعلها تسبح في مستنقع ووحل الإساءة

2 ـ الغرب قد اجتمعت كلمته على تلك الإساءة، فليست هي من قبيل الحادثة الشخصية أو المنحى الذي تنتهجه دولة ما، ولكن المتتبع سيجد أن أكثر من دولة غربية تولت كبر هذا الإفك وتنفث فيه سمها بين الحين والآخر، وهو ما يعني أن الصراع ليس مجرد وجه نظر شخصية، أو حتى توجهات من دولة واحدة متطرفة، فهي موجة غربية تتصاعد على فترات متقاربة بصورة نلحظ فيها منهجية ثابتة وتحرك متناغم بين الدول الغربية.

3 ـ هذه الإساءة تأتي في إطار الصراع الحضاري والإيديولوجي بين الغرب والعالم الإسلامي، حيث لم يبق ما يهدد الغرب بعد ذوبان المعسكر الشيوعي إلا الإسلام، ومن ثم لا نجد أن تلك الإساءات توجه لأية معتقد أو ديانة أخرى إلا الإسلام ومقدساته. فالغرب يرى أن التاريخ وصل نهايته، حيث يجب أن تسود القيم الغربية الحضارية وتتوارى تلك الحضارات الأخرى أو تختفي، وما عادت حضارة متماسكة وقوية تنافس الغرب وتزاحمه على مستقبل البشرية وحاضرها غير الإسلام. لعل قراءة سريعة لكتاب "نهاية التاريخ" للمفكر الأمريكي فرنسيس فوكاياما، و"صدام الحضارات" للأمريكي صموئيل هينجتون، ستضع تصورًا واضحًا عن رؤية الغرب للإسلام وتفسيرًا لدوافع هذه الإساءة ومرادها والهدف منها.

4. تكرار تلك الإساءات يأتي بدافع قتل همة المسلمين، وغرس المهانة في نفوسهم وتوهين شأن مقدساتهم التي تنبثق منها الهمة العالية والروح الوثابة التي تناطح الغرب، ومن ثم يضمن الغرب البقاء منفردًا دون أي نزاع حضاري آخر بعد خروج

المسلمين من سياق التنافس كما خرجت من قبل شعوب وحضارات أخرى. فتكرار الإساءة لا يأتي خبط عشواء أو بصورة عفوية عشوائية، ولكن يأتي بصورة منهجية لها دوافعها وغاياتها.

إستراتيجية مواجهة الإساءة

وهذه النتيجة تقودنا إلى القول بأن الأجدى هو مواجهة هذه الإساءات بإستراتيجية واضحة مستمرة، وهو ما يتلاقى برأينا مع الأصل العام الذي يستمد من قول الله تعالى: **"إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ** (سورة التوبة 40)"، وتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته بالرد على إساءات المشركين في غزوة أحد. وثمة ملامح رئيسة ومنطلقات لا غنى عنها في إستراتيجية مواجهة الإساءة واختراق حاجز الصمت الذي يريد البعض بحسن نية أو غيرها فرضه على الأمة.

ويمكن أن نعدد من تلك الملامح الآتي:

1. الحماسة اللحظية والعاطفة لا تغني شيئًا في المواجهة، بل وقد تصدر عنها أفعال تكون عاقبتها سيئة وغير محمودة على الإطلاق.. وصحيح أن العاطفة ضرورية لتجيش الشارع الإسلامي والحماسة مطلوبة لإشعال الغيرة على مقدسات المسلمين في قلوب الأمة..ولكنه يجب أن تكون عاطفة باعثة على همة مستمرة..وحماسة تقود إلى فعاليات منضبطة.

2 ـ القيام بأي أعمال عنف وشغب له آثار سلبية ويمثل إساءة للإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ويوفر الذريعة للعدوان على الإسلام وأهله، وقد نهى الله عن ذلك بقوله:"وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ" (سورة الأنعام 108).

وصحيح كذلك، أن العدوان على الأمة ومقدساتها مستمر بهذه الأعمال وغيرها، إلا أنه يتحتم الالتزام بالمنهج الشرعي في مواجهة تلك الأعمال، فمن حق المسلمين أن يرفضوا ويندوا بهذا العدوان، وأن يعبروا عن رفضهم بشكل قاطع، ولكن من خلال الالتزام بهدي النبي في الانتصار.

3 ـ هناك ضرورة ملحة في التواصل لإبراز عالمية التحرك المناهض للإساءات، ومن ثم فإن الدعوات الصادرة بترك أمر الحراك لكل بلد على حدة، لأنه أدرى بكيفية تصريف أوضاعه الداخلية في مواجهة هذه الهجمة الغربية، يقلل من قيمة المواجهة الجماعية، ويفقد المواجهة قوتها الدافعة.

بل ويجب أن تستغل هذه الإساءات لإبراز وحدة الأمة وتجميع صفها في مواجهة هذه الهجمة القاسية، وإيجاد صلة مستقرة تربط العالم الإسلامي بالجاليات المسلمة في الغرب.

4. الاستفادة من التجارب السابقة التي مرت بها الأمة وواجهت بها الإساءة بصورة ناجحة، فقد نجحت المقاطعة الشعبية للمنتجات الدنماركية في 2005م، وكانت هي الأقوى أثرًا عليهم.

وقطعًا، ستستمر الإساءة من قبل الغرب، ولكن عليه في كل مرة يُقدم فيها على خطوته تلك الآثمة أن يشعر بحرارة العاطفة الإسلامية نحو مقدساتهم تلهب ظهره.. وغيرتهم وحبهم لنبيهم الكريم محمد صلى الله عليه وسلم تؤرق مضاجعه.. فهو وإن استمر في الإساءة، فعلينا أن نستمر في النصرة..والغلبة حتمًا لمن يقف الحق في جانبه **"كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ"** (سورة المجادلة 21).

المواقف الرسمية المتخاذلة مع الدنمارك في السابق والتغاضى عن إساءة بنديكيت بل واستقباله ببعض الدول الإسلامية بعد ذلك ساعد على استمرار هذه الإساءات، وأوجد حالة من عدم الاكتراث بما يصدر عن المسلمين مع اشتعال الأزمات السابقة، تفاعل قادة الرأي مع القضية وبدؤوا في وضع مشاريع ومقترحات، طبق بعضها وطوى أغلبها النسيان.

صدام الحضارات

لا يمكننا فصل هذه الإهانات عن مفاهيم صدام الحضارات ونهاية التاريخ ، وصعود اليمين الأمريكى المتصهين وكلها نظريات غربية تؤسس لعداوة الإسلام. والمتابع لسير الحملات المغرضة يجد أنها تتجه في خط تصاعدي، فكلما هدأت أزمة نشبت أخرى، وكلما اشتعل حريق سارع المغرضون لصب الزيت على النار، وكلما هدأت ضجة تطوع مغرض لإثارة ضجة مماثلة، كما أن المتابع لهذه

الحملات سيلحظ أنها صدرت عن شرائح متباينة داخل المجتمع الغربي، فبجانب رجل الشارع الذى يعتدى على المساجد، هناك الساسة الذين يتطاولون على القرآن ويهددون بضرب مكة، ورجال الدين الذي يعتبرون الإسلام ديناً يحض على الكراهية، ورجال الصحافة الذين لا يرون الحريات إلا في الإساءة للمسلمين ورجال الحكم الذين يحذرون من الفاشست الإسلامي ويتوعدون بحملات صليبية جديدة، مما يعضد القناعة بأن تكرار الإساءات هي حملة منظمة ضد الإسلام تدخل ضمن النزعة الغربية التصادمية مع العالم الإسلامي.

دراسات أمريكية لتغيير واقع المسلمين

أصدرت مؤسسة راند الأمريكية في مارس 2007م تقريرًا بعنوان: (بناء شبكات مسلمة معتدلة)، يؤكد التقرير أن هناك صراعًا فكريًا بين الغرب والعالم الإسلامي، وأن هذا الصراع الفكري يحتاج إلى الاستفادة من التجارب السابقة، ومن أهمها: تجربة الصراع مع التيار الشيوعي خلال فترة الحرب الباردة. ويوصي التقرير الولايات المتحدة الأمريكية أن تستفيد من تلك التجارب، وأن تبحث في أسباب نجاحها وما يمكن أن يتكرر ويستخدم مرة أخرى من وسائل وأدوات وخطط وبرامج في إدارة الصراع مع التيار الإسلامي.

كما يعقد التقرير مقارنة بين المعركة الفكرية مع التيار الشيوعي والمواجهة الحالية مع العالم الإسلامي، كما يرى التقرير أهمية استعادة "تفسير الإسلام" من أيدي التيار الإسلامي، وتصحيح تلك التفسيرات؛ حتى تتناسب وتتماشى مع واقع اليوم، ومع القوانين والتشريعات الدولية في مجالات الديمقراطية وحقوق الإنسان وقضايا المرأة.

جاء التقرير في عشرة فصول.وصف الفصل الأول واقع العالم الإسلامي من ناحية دور المسجد في المعارضة السياسية، وعدم تمكن التيار العلماني من استخدام هذا المنبر من أجل التعريف ببرامجه، ويرى التقرير أن التيار الإسلامي يتمتع بكل من المال والتنظيم، وهما العنصران الأكثر تأثيرًا في المجتمعات الإسلامية، ويتحدث بكل وضوح عن الحاجة لاستخدام التيار الإسلامي.

أما الفصل الثاني، فقد خصصه لخبرة الحرب الباردة وفيه يشرح كيف تحولت المواجهة مع الاتحاد السوفيتي من مواجهة اقتصادية وعسكرية إلى مواجهة فكرية بالدرجة الأولى كما يوضح التقرير أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أدركت مبكرًا أن طبيعة المعركة الحقيقة في ذلك الوقت كانت فكرية وبالتالي قامت الولايات المتحدة بوضع إستراتيجية فكرية عامة للتعامل مع الخطر الشيوعي ويقدم التقرير في نهاية الفصل وصفة النجاح في ذلك الوقت والتي جمعت بين وجود إستراتجية موحدة والاستفادة من المتاح على أرض الواقع وأن طبيعة المواجهة الفكرية كانت هجومية وليست دفاعية.

أما الفصل الثالث من التقرير فكان مقارنة بين الحرب الباردة وتحديات العالم المسلم اليوم، وتوحي هذه المقارنة بأن الولايات المتحدة الأمريكية في حرب جديدة وأن الخصم في هذه المرحلة هو التيار الإسلامي.

يركز الفصل الرابع الذي جاء تحت عنوان جهود أمريكا في تقليل موجة التطرف على تقييم ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية خلال الأعوام الماضية من خطوات عملية تحجيم التطرف، ويرى معدو التقرير أن أمريكا قد أخطأت عندما أظهرت بعض الدعم لعدد من الحركات الإسلامية التي ظهرت وكأنها تدعي الاعتدال، ولكن ما لبث أن انكشف الوجه الآخر لها والمعادي لمصالح الولايات المتحدة، وأن تلك الحركات ليست معتدلة بالمفهوم الأمريكي للاعتدال، ويضرب التقرير لذلك مثالين هما:

حزب العدالة والتنمية بالمغرب، وجبهة العمل الإسلامي بالأردن. وفى الفصل الخامس يضع التقرير خارطة الطريق، لبناء شبكات معتدلة في العالم المسلم، ويؤكد التقرير على أن نقطة البدء الرئيسة في بناء شبكات المسلمين المعتدلين تكمن في تعريف وتحديد هوية هؤلاء المسلمين، ووضعت بعض الملامح التي يمكن من خلالها تحديد ماهيّة الإسلاميين المعتدلين، أهمها: القبول بالديمقراطية والقبول بالمصادر غير المذهبية في تشريع القوانين واحترام حقوق النساء والأقليات الدينية ونبذ الإرهاب والعنف غير المشروع. يضع التقرير اختبارًا يسميه: "اختبار الاعتدال" وهو 11 سؤالاً، يشكل الاختبار في

مجمله المحددات الرئيسية لوصف الاعتدال المقترح، وهي:

- ❖ هل يتقبل الفرد والجماعة العنف أو يمارسه؟
- ❖ هل تؤيد الديمقراطية بمعناها الواسع؟
- ❖ هل تؤيد حقوق الإنسان المتفق عليها دوليًا؟
- ❖ هل تؤمن بأن تبديل الأديان من الحقوق الفردية؟
- ❖ هل تؤمن بوجود خيارات لا تستند للشريعة بالنسبة لمن يفضلون الرجوع إلى القوانين المدنية ضمن نظام تشريع علماني؟

وتعبر هذه الأسئلة في مجملها عن الاعتدال بالمفهوم الأمريكي، ولا تعبر إلا عن المصالح الأمريكية الهادفة إلى تحويل السلميين بعيدًا عن الإسلام تحت دعوى الاعتدال العالمي.

وقسم التقرير من يمكن للإدارة الأمريكية أن تتعاون معهم إلى ثلاثة أقسام:

- العلمانيين.
- الإسلاميين العصرانيين.
- التيار التقليدي المعتدل.

وفي الفصل السادس يتناول التقرير ((مسلمي أوروبا)) ويركز على ثلاثة تيارات رئيسة، وهي:

1- تيار الاندماج في الحياة الأوروبية وتغيير الإسلام ليتناسب مع الحياة الأوروبية المتمدنة.

2- تيار الاهتمام بالهوية الإسلامية داخل أوروبا.

3- تيار الاعتزاز بالإسلام بأكمله وهم بالعموم أنصار التيار السلفي كما يذكر التقرير.

ويصف ذلك التيار بأنه أخطر التيارات التي تواجه أوروبا، ويجب تحجيمه ومقاومته. أما الفصل السابع فكان خاصًا بجنوب شرق آسيا. ويؤكد على أهمية الاستفادة من التجربة الأندونيسية في إشاعة الليبرالية تحت مظلة الاعتدال. يحدد التقرير العائق الرئيسي أمام بناء شبكات معتدلة في الشرق الأوسط، ويرجع ذلك إلى عدم وجود حركة ليبرالية علمانية واسعة.

بينما يركز على أهمية أن تعيد الولايات المتحدة الأمريكية النظر في سياستها ورؤيتها لدور التيار العلماني الليبرالي في الشرق الأوسط في خدمة بناء الشبكات المعتدلة.

يوصي التقرير بأهمية التركيز على أطراف الصراع مع التيار الإسلامي، والبعد عن المركز لصعوبة تحقيق انتصارات حقيقة في هذه المرحلة في المركز. استغرق إعداد هذا التقرير ثلاثة أعوام كاملة، ومؤسسة راند هي أكبر مركز فكري في العالم، مقرها الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، Research and Development.

وتعد مؤسسة راند إحدى المؤسسات الفكرية المؤثرة بشكل كبير على المؤسسة الحاكمة في أمريكا، وهي تدعم توجهات التيار المتشدد في وزارة الدفاع، ويصب كثير من الدراسات والبحوث الصادرة من هذه المؤسسة في خانة مواجهة انتشار الإسلام والمسلمين.

النتائج التي خلّفتها ظاهرة الإساءة للمسلمين

النتيجة الأولى

توقيف عجلة الحوار والنقد والتطوير داخل المنظومة الإسلامية. ولم يتوقف هذا تماماً بل أصيب بصدمة تكاد تجمّده وتقلل من حركته. لكننا كمسلمين بحاجة ماسة لاستمرار عجلة الحوار والتطوير، كالحوار المذهبي والديني، والحوار بين المتشددين والمتنورين وغير ذلك. فاليوم يتوقف أي مسلم يسعى للتطوير داخل المنظومة الإسلامية يتوقف عن مشروعه النقدي المفيد والمجدي كما هو مفترض، خشية اتهامه بالخروج عن الصف الإسلامي أو بالردة.

النتيجة الثانية

رغبة الجماهير الإسلامية بوقف أي حوار مع الغرب، حيث أصبح الغرب في عيون المسلمين عدواً لدوداً وخصماً تاريخياً. وعلت الأصوات المعادية للغرب. وعادت ثقافة العدائية له. وعاد الكتاب الذين كانوا معتدلين للبرهنة على وجود عداء قديم بين الشرق المسلم والغرب الضال.

النتيجة الثالثة

تعميق العدائية ضد إسرائيل والولايات المتحدة. فبعد عقود السعي العربي إلى اتفاقيات سلام مع الصهاينة، انطلقت ثقافة العدائية الشاملة للصهاينة، وتحالف الشارع العربي والإسلامي بكامله تقريباً ضد إسرائيل.

النتيجة الرابعة

تعزيز الالتزام بشرائع الإسلام وبالموروث الإسلامي، فبعد عقود من ظاهرة التنوير والعلمنة وانتشار الأحزاب العلمانية عاد العرب والمسلمون إلى إيديولوجية العقيدة. بل إن الأحزاب والجماعات التي كانت تصف نفسها بالعلمانية صار خطابها دينياً. فالبعثيون العراقيون تحولوا إلى جماعة إسلامية جهادية.

النتيجة الخامسة

الالتفاف الإسلامي الجماهيري حول رموز الدفاع عن الإسلام، وأصحاب المشاريع الإسلامية الحقيقية التي تواجه التطرف والعدائية الغربية. وهذا ما أدى أيضاً إلى التلاحم الجماهيري في العالم الإسلامي كله.

النتيجة السادسة

هذه الإساءات حفّزت المسلمين على الرد والانتقام من الغرب بطرق مفيدة ومشروعة، **فانضم المسلمون جميعاً في أغلب بلدان العالم إلى الصف السياسي المعادي للصهيونية باعتبارها ممثلة للغرب في المنطقة وأداته الرئيسية.وتحمّس هؤلاء للموقف الوطني الذي يتخذه التيار المطالب بإزالة إسرائيل. وهو الذي يتألف من إيران وسورية وحماس وحزب الله. وأعرب المسلمون في العالم كله عن نصرتهم لهذا التيار الصغير الحجم والقوي الإيمان والعزيمة.**

جدل واسع حول الشريعة الإسلامية في أوروبا

قضايا إسلامية كبيرة ونقاشات كثيرة كان التطرق إليها مقتصراً على المسلمين طوال القرنين الماضيين. واليوم أصبحت قضايا عالمية وقد وجد الغرب نفسه مجبراً على البحث فيها وإيجاد حلول صحيحة لها.

وبعض هذه القضايا مازالت قيد البحث والجدل منذ زمن طويل ولم يتفق المسلمون على نتائج واحدة. فقد طرح محمد عبده والأفغاني ثم مالك بن نبي ومحمد أسد وسيد قطب ويوسف القرضاوي وجودت سعيد وفهمي هويدي وغيرهم الكثير.

والجديد هذا العصر هو انخراط الغرب جدياً إلى جانب المسلمين في مناقشة هذه القضايا والبحث الجاد عن نتائج مفيدة ومثمرة تتماشى مع القرن الواحد والعشرين. وتأتي هذه المشاركة البحثية بكثافة وجرأة وهي ذات اتجاهين:

1. اتجاه يسعى من خلال مناقشة للقضايا الإسلامية التوصل إلى نتائج تنتقد الدين وتبعده عن المشاركة في الحياة المعاصرة للمسلمين. وينزعج المسلمين من هؤلاء ويعتبرونهم منتقدين ومعادين للإسلام، لكننا نستطيع أن نفتح حوارات معهم ومن الجائز أن نتمكّن من تغيير مفاهيمهم.
2. اتجاه يسعى لفهم حقيقي للإسلام والاستفادة منه ومن شرائعه داخل المنظومة الإسلامية بل وداخل الحضارة الغربية نفسها، وأهم حدث يدلّ على هذا النهج هو دعوة **روان ويليامز** لتطبيق شرائع إسلامية في بريطانيا.

يطالب المفكرون الغربيون بما يسمونه **ضرورة مواكبة فهم الإسلام لدولة القانون العلمانية في أوروبا**. ومثل هذا الطرح الذي يأتي به القانوني والمختص بالعلوم الإسلامية **ماتياس روهه** يمكننا التصدي له كلياً واتهام روهية بالتعدي على الإسلام باعتباره ليس مسلماً، لكننا لا ننسى أن هذا الطرح هو نفسه الذي يطرقه المسلمون في مجتمعاتنا منذ عقود. وإن مشكلة مواكبة الإسلام لدولة علمانية مطروقة في سورية ومصر ولبنان ويجري البحث فيها ولم يتهم الباحثين بالردة ولا بالخروج عن الإسلام.

يقول ماتياس روهية: " **الوقت قد حان للمسلمين المقيمين والمندمجين في ألمانيا لإيجاد أسس وتفسيرات دينية لا تخرج عن الحدود التي تفرضها دولة القانون العلمانية**."

ويقول : "**الحرية الدينية لها حدود، ولكن لايجوز تحديد هذه الحدود حسب نسبة الأكثرية**". ونلاحظ أن هذا الاستنتاج هو لصالح المسلمين الأقلية في ألمانيا.

أثار رئيس أساقفة كانتربري، روان ويليامز، من خلال مطالبته بدمج بعض مبادئ الشريعة الإسلامية في القانون البريطاني موجة من الاهتمام والنقد الحاد في

بريطانيا. وفي ألمانيا حذّر بعض الصحفيين من إقدام "العالم الغربي على خطوة أخرى في طريق الخضوع لرغبات أقلية المهاجرين المسلمين غير الراغبين في الاندماج.

إنَّ إثارة المخاوف من دون داعٍ صارت أمرًا رائجًا في أوروبا، حيث يقوم البعض ومن دون سبب بوضع الإرهاب الإسلاموي و"جرائم الشرف" وبناء المساجد على مستوى واحد ويعتبرونها دليلاً على فرض الأسلمة المزعومة.

هناك حاجة ما إلى تثقيف بعض ممثلي "مجتمع الأغلبية". فإنَّ الغالبية العظمى من المسلمين المقيمين في أوروبا - التي من الممكن أن يزداد تعدادها أكثر مما هو عليه - راغبة من دون شكّ في الاندماج أو أنَّها قد اندمجت منذ عهد طويل، لكنّ المشكلة تخرج في الحقيقة من غير المسلمين، وتحمل صيغة الافتراء، وتقيم مبادئ لايمكن اعتبارها من ضرورات الاندماج، فأوروبا تنشغل بالتصدي للعنف الذي يؤسَّس على أساس إسلامي. كالعنف السياسي والجرائم مثل "جرائم الشرف"؛ علمًا أنَّ هذه الجرائم غير مشروعة في الإسلام أصلاً. وهي نادرة الحدوث في اوروبا وفي البلدان الإسلامية أيضاً. أي لا ضرورة لأن يتناولها الغرب في البحث ويجعلها مطية وحجة لافتراءاته ولهجومه على الإسلام. أما بناء بيوت العبادة فيعدّ حقًا من الحقوق التي تضمنها الدساتير الغربية؛ كما أنَّ قيام السكان أو المواطنين بإنشاء بنية تحتية دينية بطرق مشروعة يعتبر استخدامًا لحقّ ممارسة الحرية الدينية، وهذه الحقوق مشروعة في أوروبا.

مواضيع هامشية يناقشها المنتقدون

كل الأشخاص الذين انتقدوا الإسلام طالبوا بما يسمّونه (تحرير المرأة المسلمة من العبودية والظلم وهيمنة الرجل والضرب الذي تتعرض له). وهذا الموضوع المختلق لا أساس لوجوده في المجتمع الإسلامي اليوم. وكلنا يعرف بمكانة المرأة في مجتمعنا، وداخل الأسرة، بل إنها في بعض الأسر تسيطر على توجيه وإدارة الزوج ونصحه وإدارة شؤون الأبناء دراستهم ومصاريفهم وتزويجهم وأعمالهم.

في ألمانيا تتخيل **مارتينا نصرا** صوراً من حكايا قديمة وتسقطها على المجتمع الإسلامي وتكتب نقداً جاء فيه:

"عندما بلغ يونس العاشرة من عمره، ذهب إلى إحدى مدارس القرآن في مدينة كولونيا، حيث تم تلقينه وحثه على التصرفات التالية: أنْ لا يرتدي السراويل

القصيرة، ولا القمصان الحريرية مثلما حرّم عليه اللقاء بـ"الكفار". لكن سرعان ما اتضح له ولوالديه أنّه لن يستمر في الذهاب إلى تلك المدرسة".

"كنت أفضل أنْ ألعب كرة القدم، وأنْ أشارك بفرقة رقص بريك دانس"، كما يقول يونس مسترجعًا اليوم ذكرياته بعد أنْ بلغ الثالثة والعشرين من العمر وتعلم مهنة ميكانيكي للسيارات. بيد أنّه يؤكد أنّ الإسلام يهمه بشكل ما، رغم ذلك إذ يقول: "مع أنني لا أصلي إلا نادرًا. لكنْ لحم الخنزير محرم علي. كما وأنّي ملتزم بصيام شهر رمضان – إذا ما استطعت".

"هوية يونس المختلطة هذه، والتي لا علاقة لها بالسياسية عمومًا، ليست حالة فريدة. فهو يمثل الأغلبية الصامتة من النشء المسلم في ألمانيا. تلك الأغلبية التي غالبًا ما تغيب عن الأنظار بسرعة، لاسيما في غمرة النقاش حول الإرهاب الإسلاموي وعنف الجيل الشاب".

هذا ماكتبته مارتينا صبرا الألمانية من أصول إسلامية أوعربية، والتي تحاول انتقاد الإسلام والمسلمين، فما الجديد في مقالها؟ لاشيء.!. وماذا تريد أن تقول؟ لاشيء. وما الأمر الذي تنتقده؟ لاشيء.

تنتقد وجود المدارس الإسلامية في دول غربية، وتنتقد تحريم السراويل القصيرة، والقمصان الحريرية وتحريم تناول لحم الخنزير. وهذه الموضوعات لاتؤثّر مطلقاً على علاقة الفرد المسلم بالمجتمع الغربي ولاتسبب تطرفاً أو انعزالاً أو خرقاً. بل لاتمثّل أية مشكلة في الغرب. وهي أيضاً مواضيع يمكن مناقشتها داخل المنظومة الإسلامية نفسها، وقد ناقشها الفقهاء سنة وشيعة بحرية كاملة وكانت لهم آراء متباينة. حتى داخل الإسلام السنّي يمكن نحصل على أجوبة متعددة من الوهابيين والشافعيين والحنفيين والمالكية والحنبلية والصوفية. ورغم تلك التعددات التفسيرية يمكن للعلماء والمفكرين المعاصرين تحليل هذه الأحكام وإعادة النظر فيها. ثمّ إن هذه القضايا التي تطرحها ليست ذات أهمية عند المسلمين أنفسهم. فما هي نسبة الذين يلتزمون بلبس السراويل الطويلة ؟ قليلة جداً. ومَنْ مِنَ المسلمين مازال يناقش هذه القضية؟ النادرون منهم.

وإن كانت هذه الكاتبة تعتقد بأنها تنشر غسيلنا على الملأ فهي مخطئة في ذلك، لأن لاعيب في هذه الأحكام. بل هي سلوكاً فردياً خاصاً، ونرى سلوكيات مرادفة لها في الغرب، فهناك نباتيون وآخرون يدافعون عن حقوق الحيوان ولا يتناولون لحمه. وهناك أزياء غربية متعددة.